(١)
المماثلة والمقابلة

قراءة ثانية فى موقف بدوى من المستشرقين

أحمد عبد الحليم عطية

مقدمة :

الكتابة عن مفكر فى قامة عبد الرحمن بدوى مغامرة محفوفة بالمخاطر، لكنها مغامرة ممتعة، حيث تمثل لنا كتاباته صورة من صور تعامل الذات مع الآخر وصورة من صور بناء الذات؛ لأن بدوى فى ذاته، وبكتاباته قلعة قوية من قلاع الفكر العربى الفلسفى المعاصر، الحصينة متعددة الأبواب، كثيرة الأبراج، متشبعة الطرق فأى طريق نسلك ؟ ومن أى باب نلج إلى داخل القلعة لنكتشف ما فيها ؟ وتأتى المخاطر من كوننا سعينا من قبل لاقتحام أعمال بدوى من باب "الأصول الاستشراقية لفلسفته"[١] دون أن نشير إلى تعدد مداخل البحث فى كتاباته أو الأسس النظرية التى يمكن من خلالها أن نتبين افكار المفكر العربى ونعرض لاهتماماته التى هى من السعة والتنوع بحيث تحتاج إلى جهود عديدة ومناهج مختلفة لبحثها ودراستها .

فقد أسهم بدوى منذ بداية كتاباته ١٩٣٩ كما سبق أن أشرنا وربما قبلها بقليل بجهود متنوعة تحدد لنا معالم مشروع فكرى متميز، ينبغى علينا أن نضعه فى إطاره الثقافى وسياقه التاريخى وعلاقته بالواقع الاجتماعى والاقتصادى بأن المد الوطنى وسيادة الليبيرالية فى مصر فترة الثلاثينات وما تلاها، مشروع فكرى فى الأساس يهدف إلى إيقاظ الوعى وإحداث ثورة روحية تسهم فى بناء الحضارة، يقوم على البحث فى "روح الحضارة العربية" وبيان دور "التراث اليونانى فى الحضارة

---

(١) تقدم فى الدراسة قراءة ثانية فى موقف عبد الرحمن بدوى من المستشرقين، وقد سبق لنا أن أصدرنا دراسة سابقة تمثل الأصول الاستشراقية فى فلسفة بدوى الوجودية، وهى دراسة تعبر فقط عن موقف بدوى الأول تجاه المستشرقين، راجع دراستنا: الصوت والصدى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٠

الإسلامية ". وهو يقوم بذلك مسلحًا بكافة الأدوات الضرورية اللازمة لعمله من اتفاق للغات شتى، ومعرفة عميقة بتاريخ الفلسفة، وقدرة على استخدام المناهج المختلفة التحليلية والفيلولوجية والتاريخية مع حصيلة وافرة من المفاهيم والتصورات الفلسفية، إضافة إلى علاقات عميقة - ومباشرة - بأعمال كبار المستشرقين الذين درس عليهم أو ترجم لهم، أو عرض لأعمالهم بالنقد والتحليل .

ونستطيع أن نحدد محاور ثلاثة تمثل بعض قطاعات مشروع بدوى هى :

١ - الموقف من التراث اليونانى[٢] .

٢ - التحقيقات الفلسفية التى تنصب على إعادة بناء التراث الفلسفى فى العربية.

٣ - الموقف من المستشرقين.

وسنخص هذه الدراسة لبحث النقطة الثالثة " الموقف من المستشرقين مع اهتمامنا فى نفس الوقت - فى دراسات أخرى نقوم بها - بتناول المحورين الأولين، فكتابات بدوى متعددة، وجهوده متشعبة، وانتاجه ضخم، وهو من السعة والثراء بحيث تعجز عن القيام به هيئات علمية ذات امكانيات كبيرة، فقد قام بمفرده فى حياتنا المعاصرة بمثل ما قام به حنين بن إسحق من جهد فى عصر الترجمة الممهد للحضارة الإسلامية فى القرون الأربعة الأولى للهجرة، وإن كان جهد بدوى أكثر تركيبًا، فقد تمثلت مهته فى نقل وترجمة نصوص الفلاسفة المعاصرين، وأبحاث المستشرقين فى الدراسات العربية والفلسفة الإسلامية، بالإضافة إلى أبحاثه وتحقيقاته فى التراث الفلسفى.

ويلزمنا أن نمهد لهذه الدراسة ببعض الملاحظات الأولية التى ينبغى أن تضعها بين يدى الباحثين فى الدراسات الفلسفية تتعلق بموقف بدوى من المستشرقين.

* أننا نقدم هنا قراءة ثانية فى كتابات بدوى فقد سبق أن نشرنا كتيبًا عنه بعنوان "الصوت والصدى" هادفين إلى بيان الأصول الاستشراقية فى فلسفته ١٩٩٠، أى قبل صدور أبحاثه الأخيرة فى نقد الاستشراق مثل كتابه "الدفاع عن القرآن ضد

---

(٢) راجع دراستنا: بدوى والموقف من التراث اليونانى، مجلة أوراق كلاسيكية، العدد الخامس، القاهرة ١٩٩٥ .

منتقديه"Defense du Coran contre ses critiques Defense ela vie du prophet Muhammad contre ses detracteurs"٨٩. "والدفاع عن حياة النبى ضد المنتقصين لقدرة ١٩٩٠. ومن هنا اتجهت القراءة الأولى إلى تأكيد الموقف المؤيد للدراسات الاستشراقية وتبنى مناهجها ونتائجها، وهو ما سيتضح أثناء البحث أنه أحد ملامح الصورة وليس الصورة كاملة .

* إن بدوى لم يقدم لنا دراسة فى الاستشراق، أو بحث عام فى توجهات المستشرقين مثلما فعل أدوار سعيد فى كتابه "الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء "(٣). أو فؤاد زكريا فى دراسته " نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية"(٤). حيث أننا لا نستطيع أن نتناول موقفه من الاستشراق " بل موقفه من المستشرقين الذى ترجم كتاباتهم موظفًا إياها فى إطار مشروعه، ودرس أعمالهم فى "موسوعة المستشرقين" (٥) وقيم دراساتهم فى "تاريخ العلوم عند العرب" (٦).

* إن الموقف من المستشرقين ليس موقفًا واحدًا، ولا جامدًا ولا متعصبًا، بمعنى أننا نجد لدى بدوى مواقف متعددة تجاه أعمال المستشرقين، وتختلف هذه المواقف باختلاف موضوع دراساتهم سواء فى الفلسفة أو التصرف، اللغة أو الشعر، أو تاريخ العلم، أو الدراسات الدينية، القرآن والسنة وحياة محمد، وتتعدد هذه المواقف تبعًا لاختلاف مناهج ورؤى المستشرقين وطبيعة كتاباتهم سواء كانت كتابات ذات طبيعة معرفية، أو أيدلوجية، موضوعية أو دعامية وأيضًا باختلاف مراحل تطور بدوى نفسه .

المرحلة الأولى :

* إحداهما ما يمكن أن نطلق عليه موقف التماثل "الذى يتبنى فيه بدوى منهج هؤلاء المستشرقين ونتائج أبحاثهم ويتابع تحليلاتهم حيث يتابع أعمالهم وينقلها

---

(٣) ادوار سعيد: الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الثانية ١٩٨٤.

(٤) د. فؤاد زكريا: نقد الاستشراق وأزمة الثقافة العربية، مجلة فكر القاهرة، العدد ١٠ عام ١٩٨٦، ص (٣٣: ٥٧) .

(٥) د. عبد الرحمن بدوى: موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤ .

(٦) د. عبد الرحمن بدوى: دراسات ونصوص فى الفلسفة وتاريخ العلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١، ص (١٥: ٥٤) .

للعربية ويعلى من شأنها، ويظهر ذلك بأجلّى الصور فى دراساته المبكرة التى يبدو فيها الإعجاب بأعمال: ماسينيون L.Massignon (١٨٨٣ - ١٩٦٢) وكرواس P.Kraus (١٩٠٤ - ١٩٤٤) ونلينو Nallino (١٨٧٢ - ١٩٣٨) وهانزهينريشى شيدر Schaeder (١٨٩٦ - ١٩٥٧) وماكس مايرهوف Meyerhof (١٨٧٤ - ١٩٤٥) .

المرحلة الثانية :

* والثانى الموقف الموضوعى الذى يناقش أعمالهم، ويحلل الدراسات المختلفة لهم مع بيان مناهجهم وتوجهاتهم موضحًا أين أصابوا، وفيما أخطئوا، ويتمثل ذلك فى موقفه من: جولد تسيهر Goldzieher(١٨٥٠-١٩٢١) ومرجليوث (١٨٥٨ - ١٩٤٠) .

المرحلة الثالثة :

* والموقف الثالث موقف النقد العنيف والهجوم على الدراسات غير العلمية المتعصبة ضد الإسلام والقرآن والنبى محمد ويظهر هذا الموقف فى مؤلفاته الأخيرة، ويمكن بيان ذلك بعرض أعمال بدوى أولاً، وترجماته ومواقفه المختلفة من أعمال المستشرقين .

أولاً - ترجمات بدوى لأعمال المستشرقين المماثلة :

تتميز مؤلفات بدوى بسمة واضحة هى ذلك الطابع البنائى الذى يضم موضوعات ذات طبيعة واحدة، يتداخل فيه التأليف والترجمة والتحقيق. حيث يوظف بدوى ترجماته لأعمال المستشرقين، وتحقيقاته لنصوص القدماء وأبحاثه لتحقيق ما يهدف إليه، كما يتضح من عناوين عدد كبير من أعماله. فكتابة "التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية" هو (دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها، ترجمها عن الألمانية والإيطالية" [٧] و "وشخصيات قلقة فى الإسلام " (دراسات ألف

---

(٧) د. بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية. دراسات لكبار المستشرقين ألف بينها وترجمها عن الألمانية والإيطالية عبد الرحمن بدوى ط٣، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٥.

بينها وترجمها)[٨]، " ومن تاريخ الإلحاد فى الإسلام " (دراسات ألف بعضها وترجم الآخر)[٩] و "الإنسان الكامل فى الإسلام " (دراسات ونصوص غير منشورة ألف بينها وترجمها وحققها)[١٠] .

ونتوقف فى هذا الفصل أمام بعض هذه الدراسات التى نقلها بدوى إلى العربية عن لغات مختلفة، وفى موضوعات تدور كلها أو معظمها حول التراث الإسلامى خاصة فى التصوف والكلام والفلسفة، لعدد من المستشرقين الألمان والإيطاليين والفرنسيين.

أ) أعمال ماسينيون :

١ - " سلمان الفارسى والبواكير الروحية للإسلام فى إيران ". نقلها عن نشرات جماعة الدراسات الايرانية، ورقم ٧، باريس عام ١٩٣٤ ويتناول فيها استهلال عن المدائن والكوفة، وكيف يدرس سلمان يُعرض فى خمسة نقاط لخلاصة السيرة التقليدية وتحليل "خبر سلمان" الخاص بإسلامه، وفاة سلمان بالمدائن، ودعوى مجيئه العراق حليفاً لبنى عبد القيس، الدور التاريخى لسلمان مع النبى فيما يختص بالوحى ودوره فيما بعد مع على، وخاتمه ثم ملحقين الأول نصوص غير المنشورة خاصة بالفرق الغلاة المساه "السليمانية" أو " السينية" والثانى إشارات إلى المصادر .

٢ - " المنحنى الشخصى لحياة الحلاج شهيد الصوفية فى الإسلام" عن مجلة " الله حى" العدد الرابع عام ١٩٤٥ ويتناول فيها: فكرة المنحنى الشخصى، الحلاج مولده وتنشئته، زواجه، حجته الأولى، الرحلة إلى خراسان والعودة إلى الأهواز ثم الإقامة ببغداد، تطوره الروحى، أثناء الحلاج آثاره قضية الحلاج، محاكمته، وإعدامه، ثم أشخاص مأساة الحلاج، وشهود هذه المأساة، وأخيرًا منحنى الحياة الحلاج .

---

(٨) د. بدوى: شخصيات قلقة فى الإسلام، دراسات ألف بينها وترجمها عبد الرحمن بدوى، دار النهضة ط٢، القاهرة ١٩٦٤ .

(٩) د. بدوى: من تاريخ الالحاد فى الإسلام. دراسات ألف بعضها وترجم الآخر عبد الرحمن بدوى. القاهرة ١٩٤٥ .

(١٠) د. بدوى: الإنسان الكامل فى الإسلام، دراسات ونصوص غير منشورد ألف بينها وترجمها وحققها عبد الرحمن بدوى. ط٢ وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦.

٣ - " المباهلة بين النبى ونصارى نجران فى سنة ١٠ هـ بالمدينة ميلان عام ١٩٤٤، كيفية الأداء، الأصل القرآنى والإسناد، إسناد الرواية، موجز الرواية، الدور الإقتصادى لبخران والتطور السياسى لبنى الحارث، الرمزية الدينية، تحليل كتاب المباهلة للشلمغانى، تحليل الفصل الخامس بالمباهلة فى الطقوس النصيرية [١١] .

٤ - " الإنسان الكامل فى الإسلام وأصالته النشورية" ١٩٤٧ Eranos-Jahrbuch[١٢] ويتناول فيه النظرية الأخروية للإنسان الكامل وبواعثها العصرية، نشأة وتطور نظرية الإنسان الكامل. بذور النظرية فى القرآن واعتناق الشيعة لها[١٣]. العناصر الثلاثة المميزة للنصوص الملحمية وأنواع هذه النصوص، كتب الملامح، تحليل " خطبة البيان" .

وحتى لا نكرر ما سبق أن ذكرناه فى موضع آخر عن علاقة بدوى بما سينيون[١٤]. نكتفى بالقول إنه بالإضافة إلى هذه الترجمات فإن بدوى يعتمد عليه. ويستشهد بآرائه فى كتبه المختلفة خاصة فى "شحطات الصوفية" و "تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى " [١٥]. ويعطى صورة واضحة عنه فى موسوعة المستشرقين [١٦] .

ب) باول كراوس :

يرتبط بدوى علميًا بكراوس ارتباطًا وثيقاً خاصة أن المستشرق اليهودى كان ضمن أساتذة جامعة القاهرة التى كان بدوى يدرس بها فى الثلاثينات، وكان ماسينيون هو الذى زكى ترشيحه للتدريس فى كلية الإداب وذلك فى مذكرة أشاد

---

(١١) د. بدوى : موسوعة المستشرقين ص(٣٦٧).

(١٢) المصدر السابق ص(٣٦٨). شخصيات قلقة فى الإسلام - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٤ ص(١٥٨-١٨٢) .

(١٣) د. بدوى : الإنسان الكامل فى الإسلام، وكالة المطبوعات، الكويت ط٢، ١٩٧٦، ص(١٠٣-١٣٨).

(١٤) د. أحمد عبد الحليم عطية، الصوت والصدى ص(٥٩) وما بعدها .

(١٥) د. عبد الرحمن بدوى: تاريخ التصوف الإسلامى، من البداية حتى نهاية القرن الثانى، وكالة المطبوعات الكويت ط٢ ١٩٧٨ ص (٢٣، ٢٥، ٢٦، ٤٧، ٤٩، ٥٥) .

(١٦) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٣٦٣) وما بعدها .

فيها بمناقبه، وما يؤمل منه، وهى المذكرة التى عرضت على مجلس كلية الآداب "وقد قرأتها يوم عرضها – وكنت طالبًا فى السنة الثالثة بقسم الفلسفة فصممت على التعرف عليه غداة وصوله "[١٧]، ويتضح عمق هذه العلاقة ليس فقط من خلال اللغة التى تحدث به عنه فى "موسوعة المستشرقين"، بل فى الاهتمام بكتاباته وترجمتها إلى العربية بدءًا من "التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية" الذى شغل به كلاهما، حيث ترجم له بحثه عن "التراجم الأرسطاطالية المنسوبة إلى ابن المقفع" [١٨] الذى هو تعليق على ما كتبه فرنشسكو جبراييلى عن "مؤلفات ابن المقفع"، كذلك تابع أبحاثه عن عدد من الفلاسفة والموضوعات فى كتابه "تاريخ الإلحاد فى الإسلام" مثل باب برزويه فى كليلة ودمنة وبحثه عن ابن الروانذى [١٩].

ويستمر الاهتمام المشترك بنفس الموضوعات أو قل السير على نفس الدرب، أقصد سير الفيلسوف المصرى على درب المستشرق التشيكى اليهودى كما يتضح فى بحثه "أفلوطين عند العرب" [٢٠] ويهمنا أن نشير أيضًا إلى إعتماد بدوى فى كثير من أبحاث تاريخ الإلحاد فى الإسلام على دراسات كرواسى خاصة عن أبو بكر الرازى، وجابر بن حيان، وإليك بيانات ما ترجمه بدوى من مقالات كرواس وأبحاثه .

١ – " التراجم الأرسطاطالية المنسوبة إلى ابن المقنع " وقد نشر هذا البحث فى مجلة الدراسات الشرقية، المجلد الرابع عشر عام ١٩٣٣. والحقيقة أن عمل كرواسى هذا الذى .نشر بعنوان "حول ابن المقفع" ينقسم إلى قسمين الأول خاص بمسألة التراجم الأرسطاطالية، ويورد بدوى ترجمته فى كتاب "التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية" ص(١٠١: ١٢٠) والقسم الثانى يتعلق بباب برزويه وهو ما نشره فى " تاريخ الإلحاد فى الإسلام ".

---

(١٧) المرجع السابق ص(٣٢٧).

(١٨) كرواسى: التراجم الأرسطاطالية المنسوبة إلى ابن المقفع، فى بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص(١٠١ – ١٢٠).

(١٩) كرواسى: فى الإسلام ص(٧٥ – ١٨٨).

(٢٠) د. بدوى: أفلوطين عند العرب وكالة المطبوعات الكويت، ط٣، ١٩٧٧، التصدير ص(١٨) وما بعدها والصوت والصدى، ص(٦٦) .

٢ – " باب برزويه فى كليلة ودمنة " وهو الجزء الثانى من دراسته السابقة وقد نشر فى كتاب بدوى عن " تاريخ الإلحاد فى الإسلام " .

٣ – " ابن الروندى " وقد نشرها كراوس فى مجلة الدراسات الشرقية، المجلد الرابع عشر عام ١٩٣٤ ويتناول فيها الموضوعات التالية بعد المقدمة، النص شذرات من كتاب الزمرد، تأليف الكتاب، وتحليل ما فيه، كتاب الزمرد ودفاع الكندى، البراهمة فى كتاب الزمرد، تأريخ الرد، تحليل الرد، حياة ابن الروندى. ويشغل صفحات ٧٥ – ١٨٨ من كتاب بدوى السابق .

جـ) هنرى كوربان :

يشير بدوى إلى اهتمام كوربان بالفلسفة الإشراقية عند السهروردى وإلى نزعته الثيوصوفية التى تستند إلى الوجدان والتجربة الصوفية، ويإخذ عليه مبالغته فى إبراز نصيب الفكر الشيعى، وأجحف بالفكر السنى إجحافًا غريبًا[٢١] ومع هذا فهو يتفق معه فى الإهتمام بالتصوف الإسلامى والوجودية مما جمع بينهما فى صداقة قوية منذ عام ١٩٥٤ وطوال ربع قرن من الزمان [٢٢]. وقد ترجم له ما كتبه عن السهرورى، وترجم شرحه هو كراوس لأصوات أجنحة جبرائيل للسهروردى .

١ – السهروردى الحلبى (ت ١١٩١م)، يؤسس المذهب الإشراقى " نشرات جماعة الدراسات الإيرانية رقم ١٦، باريس عام ١٩٣٩. ويتناول فيه بعد الاستهلال لحياته ومؤلفاته، المقالات الميتافيزيقية والمقالات فى صورة أمثال، التوحيد، مأساة السهروردى .

٢ – شرح رسالة "أصوات أجنحة جبرائيل" للسهروردى، المجلة الأسيوية عدد يوليه، سبتمبر ١٩٣٥، ترجمة الفصل الثانى من كوربان وكرواس للرسالة والشرح الفارسى لها. وقد نشرهما بدوى فى كتابه " شخصيات قلقة فى الإسلام"[٢٣] .

---

(٢١) د. بدوى: شخصيات قلقة فى الإسلام ص(١٣٦: ١٥٦) – راجع دراستنا كوربان بين الفلسفة والاستشراق – مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الثالث يوليو ١٩٩٤ .

(٢٢) المرجع السابق ص(٣٣٧) .

(٢٣) د. بدوى: شخصيات قلقة فى الإسلام ص(١٣٦ – ١٥٦) – راجع دراستنا كوربان بين الفلسفة والاستشراق – مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد الثالث يوليو ١٩٩٤ .

د. هانزهنريش شيدر :

يصف بدوى شيدر فى "موسوعة المستشرقين" مشيدًا به وبجهده يقول: "خير وصف لهانزهنريش شيدر هو أنه كان أوفر المستشرقين خطاً من النزعة الإنسانية بمعناها المحدد الخاص بالقرنين الرابع عشر والخامس عشر .. اتجه إلى بيان الأصو الإيرانية لبعض المعانى أو النظريات فى التصوف الإسلامى وتمخض ذلك عن بحثه الممتاز بعنوان "نظرية المسلمين فى الإنسان الكامل " [٢٤]. وقد ترجمه بدوى كما ترجم له دراسته عن "الشرق والتراث اليونانى" .

١ - روح الحضارة العربية "ترجمة لبحث شيدر " الشرق والتراث اليونانى" مجلة الحضارة القديمة، المجلد الرابع[٢٥] .

٢ - نظرية الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعرى وأصله محاضرة ألقيت أمام شعبة برلين للجمعية المشرقية الألمانية فى ٢٦نوفمبر ١٩٢٤، وهو ما يدور حول الكشف عن الارتباط الوثيق فى تاريخ الأفكار بين الدراسات الإيرانية والإسلامية. ويشمل بعد التمهيد عن الإسلام والإيرانية والهلينية الموضوعات الآتية: الإنسان الأول فى الكوينات الإيرانية القديمة، التغير الثنوى التشاؤمى الذى أصاب فكرة الإنسان الأول فى نظريات النجاة عند الغنوصيين، قبول النظرية فى الغنوص الإسلامى، الصورة الكلاسيكية لنظرية الإنسان الكامل عند ابن عربى، ويبين أن الإنسان الكامل مقصدًا سائدًا فى أسلوب التعبير فى الشعر الغنائى الفارسى مع ملحق بنشيد مانوى [٢٦] .

د. كرلو الفونسو نلينو :

ومكانة نلينوبين المستشرقين جميعًا مكانة ممتازة لا يساويه فيها غير جولد تسيهر ونيلدكه. وهو يمتاز عن جولد تسيهر بدقته العلمية وسعة إطلاعه على مختلف المسائل الإسلامية والعربية، ويذكر بدوى تدريسه بالجامعة المصرية،

---

(٢٤) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٢٦٧) .

(٢٥) هانز هنريش شيدر: روح الحضارة العربية، ترجمة وتقديم د. عبد الرحمن بدوى، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٩ .

(٢٦) هانز هنريش شيدر: نظريه الإنسان الكامل عند المسلمين مصدرها وتصويرها الشعرى فى بدوى، الإنسان الكامل فى الإسلام ص(١٠ - ١٠١) .

وتأثيره الكبير على تكوين الأدباء فى مصر خاصة طه حسين أنبغ طلاب الجامعة المصرية الذى يتضح أثر نلينو عليه فى "الأدب الجاهلى"[٢٧]. ويشير بدوى فى موسوعته إلى دراساته الخاصة بأصل تسمية المعتزلة واسم القدرية، والمقالة الخاصة بفلسفة ابن سينا وهل هى شرقية أم اشراقية وهى المقالات التى ترجمها فى "التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية" وغيرها وقد ترجم له بدوى الدراسات التالية :

١ - بحوث فى المعتزلة :

أ) أصل تسميتها.

ب) اسم القدرية.

جـ) الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباحية المقيمة فى إفريقيا الشمالية.

د) "حول فكرة غريبة منسوبة إلى الجاحظ عن القرآن" وقد ظهرت هذه البحوث فى مجلة الدراسات الشرقية، المجلد السابع، روما ١٩١٦ وقد ترجمها بدوى فى كتابه التراث اليونانى ص(١٧٣ - ٢١٧).

٢ - " تعليقات صغيرة على ابن المقفع وابنه " نشرت فى مجلة الدراسات الشرقية بالإيطالية ج١٤. ونجدها فى "تاريخ الإلحاد فى الإسلام" ص(٦٤ - ٧١).

٣ - " محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية " ظهر هذا البحث فى "مجلة الدراسات الشرقية " المجلد العاشر، عام ١٩٢٥ بعنوان: " حكمة ابن سينا الشرقية، أو الإشراقية "التراث اليونانى" ص(٢٤٥ - ٢٩٦).

وحين نتناول موقف بدوى من جولد تسيهر نجد تبدلاً واضحًا بين موقفين أساسيين وأجنتس جولد تسيهر الأول مؤيدًا فى التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية وفيه يعلى من قدر المستشرق اليهودى مبينًا أفضاله التى لا تحصى على الدراسات الإسلامية بحيث نجد أنفسنا وكأننا نقرأ شعرًا يتغزل فى هذه الشمس الساطعة ونورها ودفئها وأشعتها التى تضئ، وهذا الموقف المبكر ١٩٤١م يختفى تمامًا مع الكتابات الأخيرة التى يحلل فيه بدوى آراء جولد تسيهر وغيره فى القضايا الدينية والعقائد التى صدرت عام ١٩٨٩، ١٩٩٠ وفيها نجد التحلل الدقيق

---

(٢٧) طه حسين: الأدب الجاهلى .

الهجوم الحاد على الرجل الذى أراد رد كثير من عقائد الأحلام وتشريعاته إلى اليهودية وسنعرض هنا الموقف الأول ثم نتناول فى الفقرة الثالث نقد بدوى له .

ظل جولد تسيهر أكثر من ربع قرن شمسًا ساطعة استمرت ترسل فى عالم البحوث الإسلامية ضوءًا يبدد قليلاً ما يحيط بنواحى الحياة الدينية الإسلامية من ظلام وينير السبيل أمام الباحثين فى الوثائق التى سجلت فيها تلك الحياة وينمو على حرارته جيل ضخم فمن كانوا بالأمس القريب، أو فمن هم اليوم، أئمة المستشرقين[٢٨]. ويعلى بدوى فى كتابه "التراث اليونانى" من شأن جولدتسيهر. فقد "كان لديه نوع من التجربة الروحية الباطنة استطاع عن طريقها أن ينفذ فى النصوص والوثائق كى يكشف من ورائها الحياة التى تعبر عنها النصوص ويتبين التيارات والدوافع الحقيقة. فهو إذ قام بنقد الحديث - كما يخبرنا بدوى - فليس ذلك كى يبين أنه موضوع أو غير موضوع وإنما لكى يدرك الميول المختفية والأهواء المستورة التى يعبر عنها أصحابها فيما يضعون أو يرون من حديث [٢٩].

تأمل اللغة العربية التى كتب بها بدوى فى موسوعته عنه يقول: "يشاء الله أن يهب الإسلام من الأوروبيين من يؤرخون له كسياسة فيجيدون التأريخ، ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمقون هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون ... وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة اجنتس جولدتسيهر " [٣٠]. أما عن منهجه فقد كان يقبل على النصوص وفى عقله جهاز من المقولات والصور الإجمالية يحاول تطبيقها على هذه النصوص والتوفيق بينها وبين مايوحى به ظاهر النص يتلاءم وهذه الصور الإجمالية .

ويبين بدوى فى مقارنة دقيقة أن جولدتسيهر يختلف عن نلينو من ناحية وعن بكر (كارل هنريش) من ناحية أخرى. بينما منهج جولد تسيهر استدلالى يعتمد على البصيرة والوجدان نرى منهج نلينو منهجًا استقرائيًا خالصًا كل اعتماده على النصوص لا يكاد يخرج منها إلى النتائج الواسعة، كما أنه يختلف من ناحية ثانية عن بكر فى أن بكر لم يكن يحتاط كثيرًا فى استخدام الوجدان والبصيرة .

---

(٢٨) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(١٢٠) .

(٢٩) المرجع السابق ص(١٢١) .

(٣٠) المرجع السابق ص(١١٩) .

وكتابه " محاضرات فى الإسلام " ١٩١٠ هو كما يقول بدوى: "صورة كاملة متناسبة الأجزاء للحياة الروحية فى الإسلام". أما فى كتاب " اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين " فهو يقدم لنا فى الظاهر تاريخًا حيًا لتفسير القرآن بينما هو فى الحقيقة إنما يعرض لنا فيه مرآة صافة انطبعت فيها صورة واضحة للحياة الروحية طول ثلاثة عشر قرنًا عند الملايين من المسلمين " [٣١] .

وقد تم ترجم له بدوى الأعمال التالية :

١ – موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل " وقد نشر هذا البحث فى "مباحث الأكاديمية الملكية البروسية " عام ١٩١٥، القسم الفلسفى التاريخى، العدد ٨ [٣٢] .

٢ – العناصر الأفلاطونية المحدثة والغنوصية فى الحديث " ظهر هذا البحث فى مجلة الأشوريات .Z.A المجلد ٢٨ عام ١٩٠٩. وكلا العملين نشرهما بدوى فى التراث اليونانى سنة ١٩٤١ صفحات (١٢٣، ١٧٢، ٢١٨، ٢٤١) [٣٣]. وقد ترجم له عدة نصوص فى كتاب " دراسة المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى" سنة ١٩٧٩ وهى :

٣ – " مقدمة لديوان حبرول بن أوس، الحطيئة "ولقد نشر جولد تسيهر ديوان الحطيئة مجلة فى **ZDMG** المجلد ٤٦ عام ١٨٩٢ وقدم لهذه النشرة بهذه المقدمة .

٤ – " جن الشعراء" وقد نشر أولاً بمجلة **ZKMG** المجلد ٤٥ سنة ١٨٩١، ثم فى أعماله الكاملة، الجزء الثانى ١٩٦٨ .

٥ – " تعليقات على دواوين القبائل العربية" وقد نشر أولاً فى مجلة **JRAS** عام ١٨٩٧ ثم فى أعماله الكاملة الجزء الرابع [٣٤] .

---

(٣١) المرجع السابق ص(١٢٤) .

(٣٢) انظر بدوى: التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص(١٢٣ – ١٧٢).

(٣٣) المرجع السابق ص(٢١٨ – ٢٤١).

(٣٤) د. بدوى: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى، دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٨٦ ص(٢٧٢ – ٢٨٢).

ز – ماكس مايرهوف :

يصف مايرهوف "طبيب العيون المشهور فى القاهرة " بإنه من إعظم الباحثين فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب .. قوى الصلات ليس فقط بالأجانب فى مصر بل وأيضًا بالنابهين من رجال الأدب والفكر والسياسة من المصريين. ويؤكد بدوى على صلته القوية به يقول: "وأن أنس لا أنسى حسن استقباله لى وأنا شاب فى الثانية والعشرين حيث ذهبت إليه فى عيادته بتوصية من باول كرواس للحصول منه على نسخة من مقاله "من الإسكندرية إلى بغداد " كى أترجمه ولا يزال هذا البحث أفضل ما كتب فى موضوعه رغم التقدم الهائل فى هذا الميدان؛ لأنه يعطى نظرة عامة لكيفية انتقال التراث اليونانى الطبى إلىالإسلام، ويتناول بإيجاز أشهر المترجمين والعلماء العرب حتى القرن الرابع الهجرى [٣٥]. وقد ترجم بدوى فى التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية هذا العمل :

١ – " من الإسكندرية إلى بغداد: بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى والطبى عند العرب " وقد ظهر هذا البحث فى "محاضر جلسات الأكاديمية البروسية للعلوم، قسم الدراسات التاريخية الفلسفية، المجلد ٢٣ سبتمبر ١٩٣٠ فى بدوى ص(٣٧: ١٠٠) [٣٦] .

جـ) كارل هنريش بكر :

والمستشرق والسياسى الألمانى بكر **K.H.BEKKER** عالم واسع الأفق بارع فى فهم الناس، شامل النظرة نحو الأشياء محيط بالأحوال السياسية والاقتصادية التى يضطرب بها عصره، خبير بالشئون الاجتماعية والدينية الخاصة بالدول المستعمرة، وبخاصة الإسلامية منها. دعى لكى يكون أستاذًا فى المعهد الذى انشأته الحكومة الألمانية فى همبرج لدراسة المسائل الخاصة بالاستعمار ولتكوين طبقة من القادرين على إدارة شئون المستعمرات والخبراء بأحوال الأمم المستعمرة [٣٧]. ولم يعلق بدوى على ذلك بل اكتفى بتقديمه الذى أكد فيه على كونه يجمع بين العلم

---

(٣٥) ماكس مايرهوف: من الإسكندرية إلى بغداد، فى بدوى: فى التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص(٣٧ – ١٠٠) .

(٣٦) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٣٧٣) وما بعدها.

(٣٧) المرجع السابق ص(٧٣).

والسياسة. "عرفته السياسة بمعناها الرفيع أحدًا من رجالها الأقداد النابهين، وعرفه العلم مستشرقًا وفيلسوف حضارة كان فى الطليعة من بين فلاسفة الحضارة والمستشرقين [٣٨] .

ترجم بدوى دراسته "تراث الأوائل فى الشرق والغرب " وهو محاضرة كان قد ألقاها بكر فى جمعية الإمبراطور فلهلم بيرلين فى مارس ١٩٣١ وطبعت بليزج فى نفس العام (راجع بدوى التراث اليونانى .. ص(٣ - ٢٣) .

ط - فرانشيسكو جابرييلى :

كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها فى جامعة روما، برز فى دراسة الشعر العربي وفى تحقيق التاريخ الإسلامى. ترجم له بدوى "زندقة ابن المقفع" فى كتابه "تاريخ الإلحاد الإسلامى" ص(٤٠ - ٥٣) .

"زندقة ابن المقفع " وهو يفصل من دراسة أوسع بعنوان "مؤلفات ابن المقفع" نشر فى مجلة الدراسات الشرقية المجلد ١٣ عام ١٩٣٢ [٣٩] .

ى - أسين بلاثيوس :

يعرض بدوى ترجمته لكتاب أسين بلاثيوس عن ابن عربى لحياته ومؤلفاته وخصائص أبحاثه وينتقد إسرافه فى استخدام منهج التأثير والتأثر فى بيان صلات الفلسفة والتصوف الإسلامى بما يسبقها وتأثيرها على اللاحقين راجع مادة بلاثيوس فى بدوى ص(٧٥ - ٨١).

" ابن عربى: حياته ومذهبه " ترجمة ودراسة، القاهرة ١٩٦٧[٤٠]. وهو يناقش أفكار بلاثيوس فى دراسته من كتابه المذهب الروحى عند الغزالى ونزعته المسيحية[٤١].

---

(٣٨) المرجع السابق ص (٧٠).

(٣٩) فرانشيسكو جابر بيلى: زندقة ابن المقفع، فى بدوى التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية ص(٤٠ - ٧١).

(٤٠) اسين بلاثيوس: ابن عربى - ترجمة ودراسة عبد الرحمن بدوى - مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٧.

(٤١) د. عبد الرحمن البدوى: أوهام حول الغزالى ص(٢٤١ - ٢٥١) فى كتاب أبو حامد الغزالى - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ١٩٨٨.

ك – نيلدكه NALDEKE

يعد نيلدكه (١٨٣٦ – ١٩٣١) شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، وقد أتاح له نشاطه الدائب وألمعية ذهنه واطلاعه الواسع على الآداب اليونانية وإتقانه التام لثلاث من اللغات السامية مع استطالة عمره حتى جاوز الرابعة والتسعين – أن يظفر بهذه المكانة ليس فقط بين المستشرقين الألمان بل بين المستشرقين جميعًا[٤٢]. هذا الموقف سيتغير كلية فى كتابات بدوى المتأخرة كما يتضح فى عرضنا له فى الفقرة الثالثة من هذا البحث، ويشير بدوى إلى كتاباته خاصة (أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء) والبحث الأول فيه هو الذى قدم بدوى ترجمته فى كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى " .

"من تاريخ ونقد الشعر العربى القديم" (بدوى ص ١٧ –٤٠) .

ل – دفيد صموئيل مرجوليث :

يتخذ بدوى موقفين تجاه مرجوليث، أو أقل موقف مزدوج يتمثل فى الإشادة باعماله وتحقيقاته فى الأدب العربى من جهة وانتقاداته بشدة فى دراساته عن الإسلام " وهو ماسيتبلور فى دراساته المتأخرة التى توضح لنا موقفه النهائى من المستشرقين فقد كتب عن "محمد ونشأة الإسلام" ١٩٠٥ ثم الإسلام، وألقى محاضرات عن "تطور الإسلام فى بدايته" ونشرت عام ١٩١٤. وهذه الدراسات كما يقول بدوى: كانت تسرى فيها روح غير علمية ومتعصبة مما جعلها تثير السخط عليها ليس فقط عند المسلمين، بل وعند كثير من المستشرقين" [٤٣]. إلا أن نزاهة وموضوعية بدوى جعلته يشيد بمرجليوث فى مجالات أخرى يقول " إن أفضل مرجليوث الحقيقى ينبغى أن يلتمس نشرته لكتاب معجم الأدباء لياقوت ولرسائل أبى العلاء المعرى[٤٤]. وقد ترجم له بدوى:

١ – "نشأة الشعر العربى" نشرت هذه المقال فى مجلة الجمعية الأسيوية الملكية عدد يوليو ١٩٢٥ ونشرها بدوى (فى دراسات المستشرقين ص٨٧ – ١٢٨).

---

(٤٢) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٤١٧).

(٤٣) المرجع السابق ص(٣٧٩).

(٤٤) نفس الموضع.

م – دراسات أخرى حول الشعر الجاهلى وهى :

١ – " ملاحظات على صحة القصائد العربية القديمة " تأليف هـ. الفرت .

٢ – " فى مسألة صحة الشعر الجاهلى " أ. برونيلش .

٣ – " الرواية والرواة عند العرب " تأليف أوجست اشبرنجر .

٤ – "التأثيرات الوراثية والمشاكل التى تضعها رواية الشعر العتيق " تأليف ريجى بلاشير نشرت فى مجلة " دراسات عربية وإسلامية ليدن ابريل ١٩٦٥ .

٥ – " استعمال الكتابة لحفظ الشعر القديم " تأليف ف. كرنكوف. نشر فى المجلد التذكارى " من الدراسات الشرقية " مهدى إلى أدورد براون، كمبريدج ١٩٢٢[٤٥].

ثانيًا – من الترجمة والمماثلة إلى النقد والمقابلة :

ذكرنا – فى تمهيدنا السابق – أننا بصدد تقديم قراءة ثانية لموقف بدوى من المستشرقين، وحددنا مواقف ثلاثة تميز تعامله مع كتاباتهم. وقد عرضنا فى دراسة سابقة متابعة بدوى لهم، وإعجابه بأعمالهم، والتماثل مع موقفهم من التراث؛ وهو ما يظهر فى عدد كبير من الترجمات السابقة التى نقلها فى مرحلة مبكرة من حياته لكل من كرواس، وماسينيون، ونللينو، ومساكس مايرهوف، إلا أننا نجد تحولاً فى موقفه من هؤلاء المستشرقين حيث أعاد النظر فى عدد من الأحكام التى أصدرها على أعمال مثل موقفه من جولدتسيهر .وفى هذا التوجه الجديد نجده قد يشيد بمستشرق فى موقف، أو مجال، أو موضوع فى الوقت الذى ينتقده فى موقف أو مجال آخر، نجد ذلك فى موقفه من مرجليوث، وهو توجه يميز كتابات بدوى فى مرحلة تالية فى حياته تمتد لفترة طويلة منذ الستينات وحتى عام ١٩٨٤ تاريخ صدور "موسوعة المستشرقين". وهذا التوجه يختلف عن المرحلة الأولى من حياته العلمية " المماثلة " مع أعمال المستشرقين كما يختلف عن المرحلة الأخيرة التى تبدأ من عام ١٩٨٩ بصدورها أعماله ضد الكتابات الاستشراقية المغرضة التى تهاجم الإسلام وبنيه، وهى مرحلة "المقابلة" والتضاد، ضد أعمال ومناهج المستشرقين،

---

(٤٥) د. بدوى: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى. دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٨٦.

ونتائج أبحاثهم، وهى مرحلة يغلب عليها النقد الدينى والنقد الدينى المضاد، وبالطبع لا تمثل هذه المرحلة الوسطى انقطاعًا تامًا عن موقفه السابق. ففيها كثير من الأحكام العلمية الموضوعية التى تشيد بأبحاث وتحليلات المستشرقين كما تختلف اختلافًا جذريًا عن المرحلة الأخيرة من كتاباته. ففيها نجد بذور نقده الأخير للمستشرقين، إلا أنها تتميز عن هذين الموقفين بثراء، وخصوبة، وتعدد الأحكام التى يصدرها على أعمال المستشرقين، بحيث تمثل مرحلة وسطى ذات خصائص متميزة وبلغة تختلف عن لغة الإعجاب الشديد فى المرحلة الأولى، ولغة الهجوم العنيف فى المرحلة الأخيرة، إنها لغة هادئة، موضوعية، متصفة، محايدة لا تطلق أحكامًا عامة، بل تتعامل مع كل عمل وكل مستشرق على حدة تنصف وتشيد بأصحاب الجهود العلمية الجادة، وتدين، وتنقد بشدة المواقف غير العلمية .

ونستطيع أن نميز بين عدة أنواع من الإدانة يصدرها بدوى على أعمال هؤلاء المستشرقين. فهو يدين بعضهم لأسباب أيديولوجية سياسية لانغماسهم فى مواقف سياسية استعمارية ضد مصر والعرب، أو يدين البعض لأسباب دينية فى فهم الإسلام وتحرف بعض حقائق التاريخ الإسلامى أو لأسباب علمية تتعلق بالفهم واللغة والتحليل العلمى للتراث العربى الإسلامى .

فى هذا الموقف النقدى الموضوعى الذى يمثل مرحلة وسطى فى كتاباته بدوى عن المستشرقين يتوارى فهمه لهم باعتبارهم "معلمى الإنسانية أساتذتنا المستشرقين". ويظهر التحليل النقدى بأشكاله الثلاثة السياسى والدينى والمعرفى، إذا كانت دراستنا "الصوت والصدى" توضح موقف المماثلة معهم الذى يتضح فى الفقرة الأولى من بحثنا الحالى الذى تناولنا فيه ترجماته لكتابات المستشرقين. والفقرة التالية عن "المقابلة" مع تحليلاتهم وكتاباتهم فإن الفقرة الحالية تمثل المرحلة الانتقالية التى تعبر عنها كتابات بدوى فى "موسوعة المستشرقين " – النقدية الموضوعية والتى نستطيع تحديدها فى عدة نقاط هى :

١ – الإشادة بأعمال المستشرقين ونتائج أبحاثهم .

٢ – تصحيح الأخطاء العلمية والتحليل الموضوعى لدراساتهم .

٣ – إدانة التوجهات السياسية والتعصب الدينى فى كتاباتهم .

وسنناقش كل نقطة من هذه النقاط لبيان موقف بدوى الموضوعى الذى يمثل هذه المرحلة الوسطى من أعمال مفكرنا العربى من كتابات المستشرقين .

إذا كانت هذه المرحلة تمثل انتقالاً فى موقف بدوى فهى تحمل بعض آثار المرحلة الأولى التى يربط فيها بدوى بين أعماله وأعمال المستشرقين. حيث نجده يحيل فى كثير من مواد موسوعته، وعند حديثه عن كثير من هؤلاء إلى أعماله التى تحمل نفس الاهتمامات، وتدور حول نفس الموضوعات، أو التى تعتمد على نفس المصادر والمخطوطات .

يذكر بدوى فى حديثه عن المستشرق الألمانى زنكر **Zenker** (ت١٨٨٤) أنه نشر ترجمة لكتاب "المقولات" لأرسطو عن المخطوط المشهور رقم ٨٨٢ عربى (ت٢٣٣٥ عربى فى فهرس رسلان) "وهو المخطوط الذى نشرناه كله، ومعظمه لأول مرة فى كتابنا "منطق أرسطو" فى ثلاثة أجزاء القاهرة ٤٧ - ٤٩ - ١٩٥٢، وقد صدرت نشرد زنكر فى ١٨٤٦" (٤٦). ويشير إلى نشرته لترجمة أورسيوس العربية بعنوان "تاريخ العالم" بيروت ١٩٨١ فى سياق تناوله لأبحاث دلافيدا **Della vida** أثناء مقاعه فى أمريكا واطلاعه على "المخطوطات، وكان من ثمرتها بحث طويل بعنوان "الترجمة العربية لتواريخ أورسيوس " (٤٧). وكذلك يبين بدوى اهتمام جاينجوس **Gayangos** (١٨٠٩ - ١٨٩٧) بالأدب الأسبانى فى العصر الوسيط ونشره كتابًا بعنوان "كتب الفروسية" مدريد ١٨٥٧ وهو نشرة نقدية لنص قصة أماديس الغالى ويشير لمقدمة ترجمته لـ "دون كيخوته" القاهرة ١٩٦٤ (٤٨). وحين يعرض لـ "سوميز" يحيل إلى كتابه "مسكويه: الحكمة الخالدة" القاهرة ١٩٥٢ (٤٩). وفى تناوله للمستشرق الألمانى اليشمان يخبرنا بعثوره على نسخة مخطوطة من جاويدان خرد (الحكمة الخالدة) لمسكويه وفيه ترجمة عربية "للغز قابس" وعلى الأشعار الذهبية المنسوبة إلى فيثاغورث، وقيامه (اليشمان) بتحقيق هذه النصيحة وترجمتها إلى اللاتينية". ويحيل إلى نشرته وتصديره لنفس العمل(٥٠) وحين يذكر يوحنا الاشبيلى يشير إلى أعماله ومنها "فى الخير محض" المنسوب إلى أرسطو طاليس، ويشير إلى كتابه "الأفلاطونية المحدثة عند العرب" القاهرة ١٩٥٤(٥١) وفى

---

(٤٦) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٢٢٥).

(٤٧) المرجع السابق ص(٦٦) ويتحدث عن علاقته به ص(١٦٦ - ١٦٧).

(٤٨) المرجع السابق ص(١٠٤).

(٤٩) المرجع السابق ص(١٤٩).

(٥٠) المرجع السابق ص(٣٠ - ٣١).

(٥١) المرجع السابق ص(٤٣٩).

مادة بوكوك يذكر أنه بعد ترجمته اللاتينية لرسالة "حى بن يقطان" توالت الترجمات الأوربية لهذه الرسائل الأصلية الفريدة "وقد ذكرناها تفصيلاً فى كتابنا بالفرنسية " تاريخ الفلسفة فى الإسلام "، الجزء الثانى باريس، ١٩٧٢ " [٥٢]. وحين يتحدث عن المستشرق الألمانى كوزجارتن (١٧٩٢ - ١٨٦٢) يذكر علاقته بجوته، إذ كان يترجم له قصائد عربية، وكان جوته يعيد صياغتها شعرًا وقد ضمنها فى "الديوان الشرقى للمؤلف الغربى" راجع ترجمتنا له القاهرة عام ١٩٦٧[٥٣]. ونفس الأمر فى حديث عن فيهلم ألفرث (١٨٢٨ - ١٩٠٩) يشير إلى كتابه ملاحظات على صحة القصائد العربية الجاهلية. وقد ترجم بدوى فى كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى" الفصل الأول منه، وهو كتاب يعلى فيه من جهود المستشرقين ومنهجهم وتحليلاتهم للشعر الجاهلى مقابل الدراسات العربية التى ينتقدها بشدة، وضد المواقف المختلفة التى هاجمت طه حسين فى دراساته حول الشعر الجاهلى[٥٤]. ويذكر لـ "روسى Rossi (١٨٩٤ - ١٩٥٥) المستشرق الايطالى الذى اهتم بتاريخ ليبيا بحث "حكم الأسبان وفرسان مالطه فى طرابلس فى الفترة من ١٥١٠ إلى ١٥٥١" وأنه فحص هذا الكتاب بعرض مسهب فى "مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، المجلد الثالث، بنغازى ١٩٦٩ ويحيل القارئ إليه [٥٥]. وحين يتحدث عن أوجست ملر Muller (١٨٤٧ - ١٨٩٢) يأتى ذكر جوشه Gosche صاحب الدراسات عن مؤلفات الغزالى فيشير إلى كتابه"مؤلفات الغزالى" القاهرة ١٩٦١[٥٦] .

وهو يشيد بأعمال هؤلاء المستشرقين، ويمتدح تحقيقاتهم، وأبحاثهم، ويبين أن رمبولدى G.B.Rampoldi أول إيطالى عنى بالتاريخ الإسلامى كان ذا نزعة عقلية جعلته متحررًا من الأحكام السابقة المغرضة عن الإسلام. ولهذا كتب عن حياة النبى ورسالته دون تعامل سابق، وإن كان بروح عقلية استبعدت كل الخوارق

---

(52) **Abdurrahman Badawi: Histoire de la philosophie en Islam 2 vol Vrin , Paris , 1972 .**

(٥٣) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٣٤٠) وانظر كتاب كاتارينا مومزن: جوته والعالم العربى، ترجمة د. عباس عالم المعرفة الكويتية ١٩٩٥.

(٥٤) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٢٩).

(٥٥) د. بدوى: موسوعة المستشرقين ص(٢٠٠).

(٥٦) المرجع السابق ص(٣٩٥، ٤١٩).

والمعجزات ! كذلك نجده لا يسكت عن المخازى التى ارتكبها الصليبيون خصوصًا فى الحملة الصليبية الأولى لما أن أغرقوا قبر المسيح بالدماء ولم يراعوا له حرمة "[٥٧]. وحين يعرض للمستشرق الانجليزى سيل (١٦٩٧ - ١٧٣٦) يبين أنه كان منصفًا للإسلام - بريئًا - رغم تدينه المسيحى - من تعصب المستشرقين المسيحيين وأحكامهم الزائفة. فلم ينكر النبى محمد وذلك لأنه كان من أنصار نزعة التنوير التى انتشرت فى أوروبا فى تلك الفترة[٥٨]. ونفس الموقف يتخذه من أعمال ريلاند **Reeland** المستشرق الهولندى ويعرض لاهم مؤلفاته "فى الديانة المحمدية" الذى كتبه باللاتينية. وهو ينقسم إلى قسمين الأول هو تحقيقه لكتاب موجز فى العقائد الإسلامية، وترجمه إلى اللاتينية مع تعليقات وفيرة، وبهذا يعطى للقارئ الأوربى عرضًا أمينًا للعقيدة الإسلامية كما يفهمها المسلمون والقسم الثانى يفحص عن بعض الآراء الباطلة - المنتشرة فى أوروبا منذ العصر الوسيط حتى " القرن السابع عشر - عن الإسلام، والقرآن، والسنة المحمدية، ويحاول تصحيحها استنادًا إلى القرآن والسنة ومؤلفات المسلمين. وهو بهذا عند بدوى أول أوروبى حاول تبرئة الإسلام من التهم الباطلة التى اخترعها الكتاب الأوربيون وشوهوا بها حقيقة الإسلام .

ويشير بدوى إلى أنه كتب بالفرنسية بحثًا مفصلاً عن موقف ريلاند من الطعن فى القرآن بمناسبة الآية:﴿ يا أخت هارون﴾ وهو ما سيتحدث عنه بعد ذلك بالتفصل فى المرحلة التالية[٥٩]. وكذلك شاخت **Schacht** (١٩٠٢ - ١٩٦٩) الذى كان حريصًا على الدقة العلمية فى عرض المذاهب الفقهية، وفى دراسة أمور الفقه بعامة، مبتعدًا عن النظريات العامة والآراء الافتراضية التى أولع بها أمثال جولدتسيهر وسانتيلانا فمن كتبوا فى الفقه الإسلامى، ولهذا كانت دراسات ومؤلفات شاخت أبقى أثرًا وأقرب إلى التحقيق العلمى وأوثق وأجدى[٦٠]. ويشيد بكل من: نيلدكه **Noldeka** (١٨٣٦ - ١٩٣١) شيخ المستشرقين الألمان غير مدافع، ونيكلسون **Nicholson** (١٨٦٨ - ١٩٤٥) - الذى يعد عنده بعد ماسينون - اكبر

---

(٥٧) المرجع السابق ص(١٩٠).

(٥٨) المرجع السابق ص(٢٥٢).

(٥٩) المرجع السابق ص(٢١٢ - ٢١٣)، والحقيقة أن تحليل بدوى لأعمال ريلاند مستمرة فى الفترتين الأولى والأخيرة فهو يشيد به وبموضوعية.

(٦٠) المرجع السابق ص(٢٥٥).

الباحثين في التصوف الإسلامي. ويشير إلى مؤلفات نبيرج Nyberg (١٨٨٩ - ١٩٧٤) ورسالته للدكتوراة عن " المؤلفات الصغرى لابن عربى"ويصفها بأنها من أجل الأعمال فى باب التصوف الإسلامى [٦١]، وإلى نشرته الممتازة لكتاب الانتصار والرد على ابن الروندى الملحد " [٦٢]. الذى زوده بتعليقات مفيدة للغاية. وتكانش Tkatsch (١٨٧١ - ١٩٢٧) وأهم أعماله تحقيق الترجمة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطو، وأن عمله من أجل الأعمال الفيلولوجية"[٦٣]. ويفيض فى بيان تعمق ريسكه Reiske (١٧١٦ - ١٧٧٤)، ويشيد بنشرته لمعلقة طرفه التى كانت فتحًا جديدًا عظيمًا فى ميدان الدراسات العربية، وكيف بدأ بنفسه أن يصنع صنيع أستاذه اسخولنتر الذى كان يتهرف من الصعوبات فى النصوص العربية إذا وجد كلمات لا يفهمها فإنه كان يحذفها فى صمت، أو يغيرها اعتباطًا. ويضيف أن ريسلكه الذى وجد الناشرين للنصوص اليونانية يتهافتون عليه لم يجد ناشرًا واحدًا يقبل أن ينشر له كتبه فى ميدان الدراسات العربية فاضطر أن ينشر ما نشر من ذلك على نفقاته الخاصة. ومن هنا ظلت أحواله المالية سيئة "ذلك أن اللاهوتيين يبغضونه أشد البغض؛ لأنه مجد الإسلام، ولم يرافئهم على اكاذيبهم واتهاماتهم الدينية للنبى محمد والإسلام بعامة، ويستشهد بقول فوك عنه: "لقد كان متهمًا عند اللاهوتيين بأنه حر التفكير، ولم يسايرهم فى ادعائهم أن محمدًا كان نبيًا زائفًا وغشاشًا، وأن ديانته خرافات مضحكة، ولم يشأ أن يقسم تاريخ العالم إلى نصفين نصف مقدس ونصف دنيوى، بل وضع العالم الإسلامى فى قلب التاريخ العالمى وفوق ذلك كان يعبر عن آرائه هذه بصراحة تامة دون أن يحفل بما عسى أن يترتب عليها من نتائج فجلب عليه الكساد [٦٤] .

والسمة الثانية التى تميز هذه المرحلة وتوضح خصائص هذا الموقف النقدى هى التحليل الموضوعى لدراسات المستشرقين والتى تظهر فى تصحيح يشيد بدقة أعمال مستشرق ما وفى نفس الوقت ينتقده فى جوانب أخرى فالأحكام التى يصدرها على كل مستشرق لا ترى على أعماله جملة، بل على المنهج والتحليلات، والنتائج لكل عمل على حدة، ويمكن تفصيل ذلك على الوجه التالى:

---

(٦١) المرجع السابق ص(٤١٥) .

(٦٢) المرجع السابق ص(٤١٤ - ٤١٥).

(٦٣) المرجع السابق ص(٩٧).

(٦٤) المرجع السابق ص(٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨).

حين يعرف بدوى اسكاليجير Scollger (١٥٤٠ - ١٦٠٩) يصفه بإنه مستشرق، وفيلولوجى كلاسيكى فرنسى عظيم. وبعد أن يعرض مؤلفه يرى أنه فيما عدا كتابه "فى إصلاح الأزمنة" ١٥٨٣ فإننا لا نعثر لديه على ما يدل على أنه سار فى الدراسات العربية، والشرقية بعامة شوطًا بعيدًا، " ولهذه نعجب كيف وصفه اربنيوس بأنه الأول بين المستعمرين Primus arabisantuim. والحقيقة أن أهميته كمستشرق ضئيلة، وإنما هو فى المقام الأول عالم فذ فى الدراسات الكلاسيكية " [٦٥]. ويشير إلى كتاب بوكوك Pococke (١٦٠٤ - ١٦٩١) " لمع من أخبار العرب "، وهو أول كتاب يطبع فى اكسفورد بحروف عربية وأن أهمية الكتاب تقوم فى التعليقات المفيدة جدًا التى زود بها بوكوك نص ابن العبرى. ونصف هذه التعليقات تتناول العربى قبل الإسلام، اما التعليقات الخاصة بالنبى محمد فقليلة وتتسم بالتحيز والتعصب البغيض، وهو لا يستغرب من مبشر نذر نفسه خصوصًا للتبشير فى بلاد الإسلام [٦٦]. وفى تناوله لهاملتون جب H.Gibb (١٨٩٥ - ١٩٧١) يشير إلى أنه نال فى حياته كثيرًا من ألقاب التشريف التى لا يتسحقها علميًا وأن شهرته فوق قيمته العلمية، وانتاجه أدنى كثيرًا من الشهرة التى حظى بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم وما كتبه عام ١٩٢٦ بعنوان "الأدب العربى" هو كتيب صغير سطحى تافه قصد به إلى القراء الإنجليز، وعمله الخليق بالذكر - فى مجال التاريخ الإسلامى - هو الكتاب الذى ألفه بالاشتراك مع هارولد بوون بعنوان " المجتمع الإسلامى والغرب: المجتمع الإسلامى فى القرن الثامن عشر". والكتاب عرض عام لم يقم على الوثائق بين المحفوظات. ولهذا كانت قيمته العلمية ضئيلة إذا ما قورن بالدراسات العديدة فى نفس الموضوع والتى اعتمدت أساسًا على الوثائق والمحفوظات. ولكن هذا هو طابع كل ما كتبه جب [٦٧]. وتظهر موضوعيته فى تقييمه لأعمال " ستينشيندر M.Steinschneider (١٨٦١ - ١٩٠٧) خاصة "الترجمات العربية عن اليونانية" ١٨٩٧ يقول بدوى: " على الرغم من أن معظم المعلومات الواردة فيه قد صارت عتيقة بفضل ما قمنا نحن به من نشرات ودراسات فى هذا المجال، فإنه لا تزال له بعض الأهمية فيما يتصل بالعلوم الرياضية والطبيعية". والكتاب الثانى فى نفس الميدان هو "الترجمات الأوربية عن

---

(٦٥) المرجع السابق ص(١٧).

(٦٦) المرجع السابق ص(٩١ - ٩٢).

(٦٧) المرجع السابق ص(١٠٥، ١٠٦).

العربية" ١٩٠٤ - ١٩٠٥ وقد صار هو الآخر عتيقًا بفضل تقدم الدراسات فى هذا المجال، ولكن لا يوجد حتى الآن كتاب جامع يتناول نتائج البحث حتى اليوم، إنما هى دراسات متفرقة مشتتة وعسى أن نقوم بذلك قريبًا" (٦٨) .

ويبين أن كرنكوف Krenkow (١٨٧٢ - ١٩٥٣) اتصل بدائرة المعارف العثمانية، التى تتولى، ولا تزال، نشر كتب إسلامية فى مختلف فروع العلوم الإسلامية أو أنه نشر ضمن مطبوعات نشرات يعوزها "التحقيق النقدى. ولم يكن الذنب ذنبه بل ذنب المشرفين على هذه الدائرة إذ جردوا نشراته من الأجهزة النقدية، والتعليقات، والقراءات، وكان خيرًا له ولسمعته أن ينأى بنفسه عن نشر شئ ضمن مطبوعات هذه الدائرة ،ولهذا سنهمل ذكر ما نشره فيها (٦٩) .

ويظهر على امتداد الموسوعة نقد بدوى لبعض ما أورده المستشرقين من معلومات ووقائع خاطئة فى كتاباتهم حيث ينتقل بدوى من موقف الناقل إلى موقف الند مناقشًا مراجعًا مصححًا. فهو يصحح خطأ اربرى A.j.Arbery (١٩٠٥ - ١٩٦٩) فى نشرته لكتاب النبات المنسوب لأرسطو موضحًا أنه فى الحقيقة لنقولاوس(٧٠). ويبين أن إربينيوس Th.Erpenius (١٥٨٤ - ١٦٢٤) فى نشرته "أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب " ألحق بها خرافات منسوبة إلى لقمان الحكيم، هى فى الواقع تعديل لخرافات ايسوفوس اليونانى حرره كاتب نصرى مصرى مجهول(٧١). وفى حديثه عن رتر Ritter (١٨٩٢ - ١٩٧١) يبين أنه اشترك مع فالتر فى نشر رسالة الكندي "فى دفع الأحزان" ١٩٣٨ " وأن هذه النشرة حافلة بالأخطاء التي نبه عليها فى نشرته المحققة لهذه الرسالة ضمن كتاب رسائل فلسفية للكندى والفارابى وابن باجه وابن عدى(٧٢) .

ويصحح خطأ فلوجل Flugel (١٨٠٢ - ١٨٧٠) الذى نشر تحت عنوان "مؤنس الواحد" نقدًا ظنه أنه هو كتاب "مؤنس الواحد" لابن منصور الثعالبى، لكنه

---

(٦٨) المرجع السابق ص(٢٤).

(٦٩) موسوعة المستشرقين ص(٣٣١).

(٧٠) موسوعة المستشرقين ص(٥).

(٧١) موسوعة المستشرقين ص(١١).

(٧٢) موسوعة المستشرقين ص(١٨٦).

فى الحقيقة كما بين جلدميستر هو فصل من "محاضرات" الراغب الأصفهانى[٧٣]، ويذكر أن لاندبرج (١٨٤٨ - ١٩٢٤) أصدر كتاب "لغة بدو قبيلة عنزة" ولكن قيمته ضئيلة؛ لأن الرجل اعتمد عليه لاندبرج لم يكن بدويًا من قبيلة عنزة، بل فلاحًا نصرانيًا من حوران ولهذا انتقده كانتنوا " [٧٤].

ويرى أن ريبو (ت ١٨٦٧) الذى خلف سيلفستردى ساسى كان بعيدًا عن بلوغ مرتبة سلفه إذ لم يكن عالمًا باللغة العربية بوصفها لغة إلى درجة كبيرة، ولم يستطع التأليف بالعربية، بل ولا الكلام الصحيح الجارى بها [٧٥]. وان إبراهيم الحقلانى (المارونى) نشر فى ١٦٤١ مقتطفات من كتاب " مقاصد حكمة فلاسفة العرب" تأليف قاضى ميرحسين الميبودى فى نصها العربى، وزودها بالشكل الملئ بالأنماط مما يدل على جهله الفاحش باللغة العربية[٧٦]. ويدحض زعم بابت(دافيد) – الذى اهتم بدراسة اللغة العربية التى كتبت بها وثائق "جينيزة" مصر القديمة وترجم بعض الوثائق إلى العبرية الحديثة – أن الأغلاط اللغوية الفاحشة فى هذه الوثائق ليس أغلاطًا بل تمثل اللغة الحية " فى عصرها موضحًا أن هذا الزعم باطل سخيف، وأن جهل اليهود الذين كتبوها باللغة العربية ونحوها هوالسبب فى وقوعهم فى هذه الأغلاط اللغوية والنحوية الفاحشة، وهو أمر مشاهد عند اليهود فى مصر وسائر البلاد العربية وقد انتشرت هذه الدعوى – رغم ذلك – عند بعض جهال المستشرقين خصوصًا فى العصر الحاضر[٧٧] .

ويصدر حكمًا قاسيًا على المستشرق الألمانى هورتن **Max Harten** (١٨٧٤ - ١٩٤٥) الذى أصدر عددًا كبيرًا من الدراسات والترجمات فى الفلسفة وعلم الكلام "لكنه قلة بضاعته فى اللغة العربية والمصطلحات الفلسفية والكلامية العربية من ناحية وسوء النشرات التى اعتمد عليها من ناحية أخرى قد أصابا بالخلل وسوء الفهم وبالتالى الخطأ فى الترجمة " [٧٨] .

---

(٧٣) موسوعة المستشرقين ص(٢٨٦).

(٧٤) موسوعة المستشرقين ص(٣٥١).

(٧٥) موسوعة المستشرقين ص(٢١٧).

(٧٦) موسوعة المستشرقين ص(١٤٦).

(٧٧) موسوعة المستشرقين ص(٤٧).

(٧٨) المرجع السابق ص(٤٣٠).

وحين تذكر ترجمات القرآن الأولى إلى اللغات الأوربية، يعرض للترجمة اللاتينية الأولى، وهى تلك التى دعا إليها ورعاها بطرس المحترم ١٥٤٣ وقام بها بيلينارد يقول: "أن بيلينارد شكوك فى مدى علمه باللغة العربية بحيث لا ترى أثرًا لعلمه بالعربية إلا فى حواشى قليلة فى الهامش وأن هذه الترجمة أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة، فهى لا تلتزم بالنص دقة وحرفية ولا تلتزم بترتيب الجملة فى الأصل العربى وإنما هى تستخلص المعنى العام [٧٩]. ويذكر أهم إنتاج للمستشرق الألمانى اليهودى هورفتس Horovitz (١٨٧٤ - ١٩٣١) وهو كتابه " مباحث قرآنية" ١٩٢٦، ومنهجه فيه هو التحليل التفصيلى للغة القرآن، لكنها تحليلات ثبت ما فيها من مغالاة وافتعال، مما جعل نتائج بحثه مشكوكًا فيها منذ البداية ومرفوضة كلها فيما بعد[٨٠] .

وتتمثل النقطة الثالثة فى إدانة التوجهات السياسية والتعصب الدينى كما تظهر فى كتابات بعض المستشرقين وهذه النقطة بالتحديد هى مقدمة للموقف الأخير فى نقد بدوى المضاد للتوجهات الأيديولوجية الدينية لهؤلاء المستشرقين وهو نقد فى جانب منه معرفى، وفى جانب آخر أيديولوجى وتظهر فيه نفس السمات السابقة الموضوعية سواء مع أو ضد هؤلاء، وذلك فى الجوانب المعرفية، بينما لا تظهر الأساس الفلسفى للنقد الأيدلوجى سواء ضد توجهات المستشرقين الدينية أو السياسية اللهم فقط الشعور الوطنى والقومى والدينى الذى يسيطر علي ميول واتجاهات الإنسان العربى المسلم. ففى تناوله للمستشرق الألمانى اليهودى يعقوب بارت Jackob Barth (١٨٥١ - ١٩١٤) يذكر أنه كان فى تحقيقه للنصوص العربية لا يتورع عن التصحيحات العنيفة خصوصًا فيما يتصل بالشعراء القدامى. وعلى العكس من ذلك فعل بالنسبة للنصوص العبرية الخاصة بالكتاب المقدس فإنه كان يتجنب أي تصحيح فيها .. مماجعل إنتاجه فى هذا الميدان متخلفًا جدًا عن التطور الهائل الذى حدث فى ميدان نقد نص الكتاب المقدس[٨١]. ويشير إشارة ذات مغزى هام أن بارث توفى عام ١٩١٤ تاركًا ولدين: البارز (ت ١٩٤٩)، وأهارون (ت ١٩٥٧) وكلاهما كان من أشبع غلاة الصهيونية والدعاة لها [٨٢]. ونفس

---

(٧٩) المرجع السابق ص(٣٠٧، ٣٠٨).

(٨٠) المرجع السابق ص(٤٣٣).

(٨١) المرجع السابق ص(٨١).

(٨٢) الموضع نفسه.

الإشارة تتأكد فى سياق حديثه عن كتاب بروكلمان "تاريخ الشعوب والدول الإسلامية" ١٩٣٩ الذى كان يصفه مقيمًا بأنه صورة شاملة بتاريخ الشعوب الإسلامية دون مناقشة للمشاكل العديدة المتصلة بهذا التاريخ معتمدًا على يوليوس فلهوزن وليون كتيانى، الأهم من ذلك إشارته إلى ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية إبان الحرب العالمية الثانية ونشره عام ١٩٤٧ مع فصل عن الحوادث من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٨ **M.Perlmann** شوه فيه القضية الفلسطينية " وأبدى فيه رأيًا يخالف تمام المخالفة رأى بروكلمان" كما قال يوهان فوك. ويضيف بدوى "ولكن هذه عادة كل الكتاب اليهود فى هذا الشأن"[٨٣] .

ويندد بمواقف المستشرقين الذين تورطوا فى خدمة الاستعمار، ويبدو ذلك التنديد هادئًا فى إشارته لتوزع سنوك خرفرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦) بين التدريس فى جامعة ليدن وبين الاستشارة السياسية لشئون المستعمرات الهولندية[٨٤]. ويتدرج ذلك إلى إدانة المستشرق فى موقف، والإشارة به حين يتجاوز هذا الموقف كما نجد فيمًا كتبه عن آربرى الذى أصدر فى فترة الحرب العالمية الثانية نشرات لا نهاية لها للدعاية البريطانية فى الشرق الأوسط باللغتين العربية والفارسية وظهر فى فيلم للدعاية البريطانية - وهو ما يدينه بدوى. وتكفيرًا عن هذه "المهمة المنحطة" قام آربرى بتقديم الشرق إلى الغرب بترجمة كتب عربية وفارسية وتأليف كتاب وأبحاث لتفهيم الأوربيين حقيقة الإسلام: حضارته وآدابه وعقيدته هادفًا إلى إزالة حشد هائل من الباطل وسوء الفهم والأكاذيب المتعمدة، لأقرار الحق عن الشرق وشعوبه فى الضمير المشترك للغرب، فهذا جزء من واجب المستشرق ذى الضمير الحي[٨٥]. ويصل النقد إلى أقصى مداه فيما كتبه عن بالمر (أدوار هنرى) (١٨٤٠ - ١٨٨٢) وهو عند بدوى مستشرق انجليزى من عملاء الاستعمار البريطانى، لقى حتفه جزاءً وفاقًا لعمله هذا، ويبدو أن تاريخ بالمر عريق فى خدمة الأهداف الاستعمارية فقد شارك فى بعثه "اكتشاف فى فلسطين" بغرض اكتشاف الارتباط بين التاريخ المقدس والجغرافية المقدسة. ويكتب بدوى: "أنه لما راحت بريطانيا ١٨٨٢ تدبر لاحتلال مصر دعاه لورد نورنبروك الرئيس الأول للبحرية البريطانية فى ٢٧ يونيو ١٨٨٢ للاستفادة من خبرته بسيناء واتصالاته باهلها لكى يتصل ببدو

---

(٨٣) المرجع نفسه ص(٦٥).

(٨٤) المرجع السابق ص(٢٤٦).

(٨٥) المرجع السابق ص(٦) .

سيناء، ويؤلبهم ضد مصر، ويستخدمهم لتأمين الجانب الشرقى من قناة السويس لصالح بريطانيا، ووافق بالمر للقيام بهذه المهمة الدنيئة التى لا تليق بعالم أبدًا. ويصفها بدوى "بالمهمة القذرة"، وبعد أن يورد تفاصيل ذلك وأن البدو نصبوا كمينًا له، ولمن معه وإقتادوهم إلى وادى سدر وقتلوهم وألقوا بهم فى واد سحيق. وتفاصيل هذا كله موجودة فى الكتاب الأزرق (رقم ٣٤٩٤) الذى أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٨٨٣ يقول: "هكذا لقى بالمر بالجزاء الوفاق عما قام به من تجسس ودسائس وتأمر للتمهيد لغزو بريطانيا لمصر واحتلالها احتلالاً دام منذ ذلك التاريخ وحتى يونيو ١٩٥٦[٨٦]. ورغم هذه الإدانة الشديدة لموقف بالمر التى وجهها بدوى إليه بصفته مصريًا فإنه يورد ترجمته لشعر البهاء زهير موضحًا أن فيها من الرشاقة والجمال مثل ما فى الأصل[٨٧]. وهو موقف علمى ينفصل عن موقفه السياسى، ولا يتناقض معه .

ويرتبط هذا النقد بإدانة تعصب كتابات المستشرقين ضد الإسلام – وهو تمهيد لكتابات بدوى الأخيرة، ويظهر فيه تقصى بدوى لكل كتابات المستشرقين فى ميادين ترجمة القرآن، والدراسات الإسلامية فى أوروبا فهو يبين لنا فيما كتبه عن المستشرق الفرنسى بوستل (١٥١٠ – ١٥٨١) أن نفسيته تحولت منذ عام ١٥٤٠ تحولاً غريبًا، فاستولت عليه أحلام شاذة لإصلاح أحوال العالم، وأراد أن يضع معارفه اللغوية فى خدمة تحقيق هذه الأحلام فراح يحلم بقيام حركة تبشير عالمية ابتغاء تنصير كل الكفار والمبتدعة والوثنية. وإلى جانب هذه التهاويم الدينية تملكته نزعة قومية فرنسية مغالية جدًا جعلته يتصور أن الفرنسيين شعب الله المختار، وأنهم مدعون للسيطرة على العالم وحكمه [٨٨]. ويذكر أن ريكولدو (١٢٤٣ – ١٣٢٠) راهب دومنيكى ومبشر عنيف الخصومة ضد الإسلام له كتاب بعنوان "الجدال ضد المسلمين والقرآن" كما فى مخطوط باريس، أو بعنوان "ضد قرآن محمد" كما فى مخطوط المتحف البريطانى، أو "الرد على القرآن" كما يرد فى عنوان الترجمة اللاتينية. وفيه جمع ما سبق أن ساقه الذين ردوا على القرآن والإسلام وأضاف إليه ردودًا من عنده[٨٩]. ويذكر لريموند ومارتينى لاهوتى

---

(٨٦) المرجع السابق ص(٤٦).

(٨٧) المرجع السابق ص(٤٣).

(٨٨) المرجع السابق ص(٨٨).

(٨٩) المرجع السابق ص(٢١١).

ومبشر ومستشرق أسبانى (ت١٢٨٤). أهم مؤلفاته "ضجر الإيمان فى صدور المسلمين واليهود" [٩٠] ويشير إلى كارل جوتليب بفاندر **Pfander** فى حديثه عن موير **W.Mur** (١٨١٩ - ١٩٠٥) مؤلف كتاب "ميزان الحق" الذى هاجم فيه الإسلام بمنتهى العنف ودعا موير إلى أن يكتب عن السيرة النبوية فكتب عدة مقالات بروح متعصبة خالية من الموضوعية .. وعاد موير إلى تحامله الشديد على الإسلام فأصدر كتابين هما: "القرآن تأليفه وتعاليمه " ١٨٧٧، "والجدال مع الإسلام " ١٨٩٧[٩١].

ويشير إلى يوحنا الاشقوبى (ت بعد ١٤٥٦) وهو لاهوتى أسبانى لعب دورًا كبيرًا فى مجمع بازل وشارك فى ترجمة القرآن إلى اللاتينية، وأنه فى خلوته فى ديرآيتون **Ayton** فى سافويا (فرنسا) - وهذا ما يهمنا هنا - فكر الدفاع عن المسيحية ضد الإسلام الظافر الذى بدأ يغزو أوربا خصوصًا بعد استيلاء محمد الفاتح على القسطنطية فى ١٤٥٣ " وقد تبين له (ليوحنا) أنه لا جدوى من مقاومة الإسلام بالسلاح لأن الدولة العثمانية كانت فى أوج قوتها وتهدد أوربا بأسرها لهذا رأى ترجمة القرآن إلى اللاتينية، وبعد ترجمة القرآن أخذ فى كتابه رد على الإسلام بعنوان "طعن المسلمين بسيف الروح" [٩٢]. وفى نفس الإطار كلف بطرس المحترم - وهو راهب ولاهوتى فرنسى - بعض المترجمين بترجمة القرآن إلى اللاتينية. وقد طبع ونشر هذه الترجمة وألحق بعض الرسائل المتعلقة بالنبى والقرآن والإسلام. وقد بين اربينوس ونسليوس - كما يشير بدوى - أمثلة لما فى هذه الترجمة اللاتينية من غموض وخطأ وإلى جانب ذلك قام بطرس الملقب بالمحترم هذا فألف كتابًا فى الرد على الإسلام، وكان ذلك حوالى ١١٤٣. وعلى الرغم من أنه هو الذى رعى هذه الترجمة فإنه كلف سكرتيره أن يضع النقاط الرئيسية لهذا الرد[٩٣] .

ومن استعراض أعمال (آل) السمعانى: يوسف سمعان السمعانى، اسطفان أيقود السمعانى، يوسف ألويس السمعانى، سمعانى السمعانى ... يرى "أنهم لم

---

(٩٠) المرجع نفسه ص(٢١٣).

(٩١) المرجع نفسه ص(٤٠٥).

(٩٢) المرجع نفسه ص(٢٦).

(٩٣) المرجع نفسه ص(٦٩).

يسهموا بشئ يستحق الذكر فى الدراسات العربية .. بل يكاد يقتصر نشاطهم على السعى لإخضاع الطائفة المارونية فى لبنان للسيطرة الكاملة لبابا روما ولا ذكاء نار الفتنة بين الطائفة المارونية من ناحية وسائر الطوائف المسيحية من ناحية أخرى فضلاً عن التعصب الدينى ضد الإسلام .. ويرى أنه من الكذب الفاضح أن يدعى أحد أن السمعانى خدموا الثقافة العربية على أى نحو وهذا الحكم نفسه ينطبق على رجال الدين الموارثة الذين عملوا فى أوربا فى القرون من السادس عشر حتى اليوم. لقد كانوا جميعًا فى خدمة هيئة التبشير والدعوة فى روما، أو مترجمين لحكام أوربيين، ولم يسهم أى واحد منهم فى البحث العلمى المتعلق بالثقافة العربية أو التاريخ العربى[٩٤]. وربما كان الاستثناء الوحيد هو ميخائيل العزيزى وحين يتناول ميخائيل العزيزى الذى الحق بدير الاسكوريال يذكر أن مكتبته تحتوى على مقدار وفير من المخطوطات العربية التى اقتنيت بطرق مختلفة أهمها الاستيلاء فى البحر على سفينة مغربية كانت تحمل مكتبة مولاى زيدان ملك المغرب[٩٥] .

ويفيض فى الحديث عن المستشرق والراهب اليسوعى البلجيكى لا منس Lammens (١٨٦٢ - ١٩٣٧) الشديد التعصب ضد الإسلام الذى يفتقر افتقارًا تامًا إلى النزاهة فى البحث، والأمانة فى نقل النصوص، وفهمها ويعد نموذجًا سيئًا جدًا للباحثين فى الإسلام من بين المستشرقين. وبعد أن يعرض لكتاباته يوضح أنها تلخيص لأبحاث المستشرقين وعلماء الآثار والجغرافيا فى هذه الموضوعات وليس له فيها أى اسهام أصيل. ويشير إلى تحليل كتاباته فى السيرة النبوية تحاملاً شديدًا ويصف عمله بالبعد الشديد عن العلم وأصول البحث والنزاهة العلمية. فهو يلقى الكلام جزافًا ويعتمد على تحكمات ذهنية استقرت حسب معانى ذهنية سابقة ولم يكن لديه اطلاع باحث مثل جولد تسيهر يحاول أن يستمد دعواه من مصادر أخرى تلمودية أو هلينية ... إلخ بل راح يخبط دون أدنى سند أو برهان عقلى. وأبشع ما قعله خصوصًا فى كتابه "فاطمة وبنات محمد" هو أنه كان يشير فى الهوامش بصفحاتها، ويخبرنا بدوى أنه راجع معظم هذه الإشارات فى الكتب التى أحال إليها لا منس فوجد أنه إما أن يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقًا فى هذه الكتب أو يفهم النص فهمًا ملتويًا خبيثًا أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية، ولهذا ينبغى - كما يخبرنا بدوى - ألا يعتمد القارئ على

---

(٩٤) المرجع السابق ص(٢٤٣).

(٩٥) المرجع السابق ص(٢٦٩).

إشاراته إلى المراجع فإن معظمها تحويه وكذب وتعسف فى فهم النصوص يقول: "ولا أعرف باحثًا من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية " [٩٦]. وهو نقد عنيف بلغت فيه لغة بدوى أقصى درجات الهجوم والعنف وهذا ما يظهر فى أسلوب كتابيه الآخرين. ويواصل نقده لبقية أعمال لامنس التى تتعلق بالتاريخ الإسلامى. فقد درس الخلافة الأموية وفى هذه الدراسات بالغ لامنس فى تمجيد الأمويين بدافع الحقد الشديد علي الإسلام وبالمقارنة مع فلهوزن نجد الفارق الهائل بين ما قام به يوليوس فلهوزن فى كتابه "الدول العربية وسقوطها" وبين الاندفاع الأهوج عند لا منس فى تبرير أبشع جرائم يزيد والأمويين بعامة وفى ميدان الإسلام بعامة وضع لا منس كتابًا عامًا بعنوان "الإسلام: عقائد ونظم" وقد زعم فى استهلال الكتاب أنه كتاب حسن النية **Un Livre de bonne foi** ومع ذلك فقد درس فيه كل سمومه التى سبق أن عرضها فى مؤلفاته، وذكر أنه (الكتاب) عرض موضوعى **Exposé tout objectif**. وهذا أيضًا فيا يرى بدوى – من خلال تحليله للعمل – غير صحيح تمامًا .. وهو عرضى سطحى جدًا وليست له أية قيمة علمية ولاحتى كدراسة مبسطة ابتدائية لأنه مزجه بوجهات نظره المليئة بكراهيته للإسلام فى غل منقطع النظير [٩٧] .

وتنقلنا الإشارات النقدية المتفرقة لبعض مواقف المستشرقين خاصة فيما يتعلق بالدراسات الإسلامية والقرآنية إلى إعادة نظر جذرية فى موقفه. والحقيقة أن إعادة النظر هذه ليست تحولاً مفاجئًا فى نظرة الدكتور بدوى بل أن أصولها بدت واضحة للعيان فى كثير من الإشارات السابقة ويستطيع الباحث فى كتابات بدوى أن يستبصر هذا الموقف واضحًا لكن السؤال الهام فى هذا السياق هو لماذا ارتبط فى أذهاننا أبحاث بدوى بالإشارة إلى المستشرقين؟ وهل حدث تحول مفاجئ فى كتاباته؟

فى الحقيقة هناك أسباب عديدة لذلك. أولها تلك الحماسة والإعجاب الشديد بأعمال هؤلاء، وترجمتها إلى العربية، وجعلها جزءًا من بنية أعماله فكأن أبحاثه وتحقيقاته تتكامل مع ترجماته لهؤلاء، بالإضافة إلى استلهام كثير من المستشرقين وأعمالهم فى أبحاث وكتابات خاصة، خاصة أعمال كرواس، ثالثًا هذه السمة

---

(٩٦) المرجع السابق ص(٣٤٨).

(٩٧) المرجع السابق ص(٣٤٩).

الإنسانية التنويرية فى طرح القضايا والعناوين التى يختارها لكتاباته مثل "تاريخ الإلحاد فى الإسلام" والتى تعطى انطباعًا مباشرًا بتبنى بدوى مثل هذه الأفكار إلا أن ذلك الانطباع المباشر قد لا يعبر حقيقة عن قناعات الرجل. فالدراسات التى أوردها عن الإلحاد تتعلق بانكار الفلاسفة للنبوة وليس الألوهية إضافة إلى أن مثل هذه الدراسات كانت سائدة ومنتشرة فى الدوريات والمجلات الثقافية المصرية والعربية فى هذه الفترة [٩٨]. فهو نوع من المشاركة فى القضايا المثارة فى مطلع شباب سرعان ما تحولت بفعل الخبرات العملية إلى نوع من التوجه العام الذى تبناه بدوى عن طريق طه حسين وأحمد لطفى السيد وهو الاستفادة من الدراسات الغربية والمشاركة فيها وعدم الشعور بالدونية أمام هذه المناهج الفلسفية والعلمية التى تمكننا من إعادة النظر فى تراثنا الثقافى، وقضايانا الفكرية، إلا أن الغرب عند بدوى لم يكن فقط فرنسا كما لدى أحمد لطفى السيد وطه حسين بل إن اتجاهه إلى الدراسات الألمانية والإيطالية بفضل اتقانه هذه اللغات، وعلاقاته الوثيقة بأهم الباحثين والمستشرقين من إيطاليا وألمانيا وتكوينه الفلسفى، الذى مال به نحو المثالية الألمانية لدى كانط وهيجل وفشته وشلينج والذى ارتبط بتوجهه السياسى، أو أسس له، وذلك فى انتمائه "لمصر الفتاه" [٩٩] جعلاه يختلف عن توجه أساتذته لطفى السيد وطه حسين من ناحية، ويعيد النظر فى أحكام بعض المستشرقين من جهة ثانية، وينشغل بقضية "روح الحضارة العربية"، والحضارة الإسلامية " بل يستخدم أحيانًا لفظ الإسلام بدلاً من العرب فى عناوين أحد كتبه. فبعد "أرسطو عند العرب" و "أفلوطين عند العرب" يكتب عن "أفلاطون فى الإسلام". التحول اذن لم يكن مفاجئًا بل نجد بذوره فى هذه المرحلة الوسطى التى كان فيها موضوعيًا ازاء كتابات المستشرقين المعرفية وناقدًا لكتاباتهم الدينية والسياسية وهذا ما ينقلنا إلى

---

(٩٨) لقد شارك بدوى فى الكتابة عن الالحاد فى الاسلام ١٩٤٥ فى الوقت الذى اثيرت فيه هذه القضية فى عدد من المجلات العربية والمصرية مثل المقتطف والعصور حيث كتب إسماعيل أدهم " لماذا أنا ملحد؟ " ورد عليه محمد فريد وجدى " لماذا هو ملحد ؟ " وترجمت مجلة العصور التى يرأسها إسماعيل مظهر دراسة رسل لماذا أنا لست مسيحيًا ؟ وهى قضايا شغلت الكتاب فى هذه الفقرة ولم يكن بدوى شاذاً فى الكتابة فى هذا الموضوع المثار فى الدوريات الثقافية فى تلك الفترة.

(٩٩) راجع دراستنا قراءة فى كتابات بدوى السياسة، مجلة أدب ونقد، القاهرة ديسمبر ١٩٩٣، العدد ١٠٠ .

المرحلة الحالية؛ التى يتقابل ويتضاد فيها موقف مفكرنا مع إراء بعض ما كان يعجب بهم ويتماثل مع كتاباتهم من قبل. هنا يتحول بدوى من " تاريخ الإلحاد فى الإسلام" إلى "الدفاع عن محمد والقرآن" .

ثالثًا: الدفاع عن القرآن والنبى (المقابلة). أول ما يميز موقف بدوى الحالى من المستشرقين، الذى تعبر عنه هذه المرحلة الناضجة من تطوره الفكرى، والتى نطلق عليها موقف " المقابلة " هو تحوله من ترجمة أعمال هؤلاء وتبنى مناهجهم، ونتائج أبحاثهم، أو الكتابة عنهم، وتحليل كتاباتهم – فى مجالات البحث فى الفلسفة، والكلام، والتصوف، والأدب، وتاريخ العلم العربى – إلى إعادة النظر فيما كتبوا خاصة فيما يتعلق بالدين الإسلامى، والقرآن الكريم، وحياة النبى محمد، وأصبحت القضايا الدينية هى محور البحث ودارت حول :

* التشابه المزعوم بين القرآن والانجيل، مفهوم لفظ " أمى" المتعلق بالنبى محمد، معنى كلمة فرقان، الصائبة فى القرآن، الرسل فى القرآن، هل هناك مصدر يونانى للقرآن، التصنيف التاريخى للقرآن، الكلمات غير العربية فى القرآن، حقيقة الشخصيات التاريخية التى جاءت فى القرآن؛ "أخت هارون"، "هامان"، وهى محاور كتابه "الدفاع عن القرآن ضد منتقديه"(١٠٠). وصدق محمد فيما نزل عليه من الوحى، وسياسة محمد تجاه خصومه، وموقفه تجاه معاهداته، وصحة رسالة وخطبه وأحاديثه، وشهوات محمد المزعومة، والفرائض الإسلامية وأصولها وهى نقاط البحث فى كتابه "الدفاع عن محمد ضد المنتقصين لقدره" .

* وكما يتضح من عناوين هذه الموضوعات فإن بدوى يناقش القضايا التى أثارها المستشرقون حول الدين الإسلامى وتشريعاته، وكتابه المنزل، ورسول، وهى قضايا تاريخية ولغوية فى الأساسى. هنا تحول الاهتمام عن كتابات المستشرقين فى فروع المعرفة الإسلامية، وعن شخصيات المستشرقين إلى الإهتمام بالقضايا

---

(100)A.Badaw: Defense du coran contre ses critiques, l`Unicite , Paris, 1989.

وراجع الدراسة التى قدمها الزميل الدكتور عطية القومى للكتاب فى مجلة المؤرخ المصرى، العدد الثالث عشر يوليو ١٩٩٤، هذا ونشير إلى أننا اعتمدنا فى اشارتنا للعملين الآخرين للدكتور بدوى على ترجمات موسعة غير منشورة للدكتور عطية القوسى .

التى تتصل بأساس الدين وفى كل قضية منها يعرض بدوى لمواقف الذين تناولوها بالبحث والنقد بل بالهجوم والتجريح فى كثير من الأحيان. وفى كل قضية منها يشير للمشكلة وموقف المستشرقين منها، وأصلها لدى الكتاب المسلمين، والمواقف المتباينة تجاهها، وموقف القرآن منها، ثم يقدم تحليله لها، ووجهه نظره الخاصة موضحًا أن بعض هذه القضايا قضايا زائفة مفتعلة، وبعضها قضايا ستظل مثارة ويستمر الجدال حولها بعد وضعها الوضع الصحيح. والاتجاه الأساسى السائد فى تحليله لكل منها هو بيان تهافت المنهج الذى استخدمه المستشرقون، وتحليلاتهم الخاطئة، ودوافعهم المغرضة وروح التعصب.

ومن الممكن عرض موقف بدوى من كل قضية من هذه القضايا والإشارة إلى كل من تناولوها من المستشرقين، أو وهذا هو الحل الثانى الذى اخترناه، تتبع مواقف بدوى من كل مستشرق فى كل قضية منها موضحين علاقة هذا الموقف بآراء بدوى السابقة فى بعض هؤلاء المستشرقين إذا كان قد ذكرهم من قبل .

ونقدم هنا بعض الملاحظات التمهيدية التى تساعد فى متابعة تحليل بدوى لهذه القضايا، وتحليلنا لموقفه من المستشرقين وهى:

١ - إن بدوى كما يتضح من مقدمات كتبه الأخيرة - بإزاء توجه جديد يتمثل فى مشروع يشغله، ويشغل فى الحقيقة كثير من الباحثين المنتمين للعالم الإسلامى المعاصر وهو إعادة النظر الجذرية فى كل ما كتبه المستشرقون فيما يتعلق بالدين الإسلامى. وقد أصدر بدوى بعض أجزاء من هذا المشروع، ويعدنا بكتابات أخرى مثل كتابه - تحت الطبع - عن "الإسلام كما أرتآه: فولتير وهردر وجيبون وهيجل"، وكذلك نيته فى تخصيص دراسة وافية عن السنة النبوية المحمدية يرد فيها الرد الكافى والمقنع على أولئك المستشرقين المتشككين .

٢ - إن إعادة النظر الجذرية هذه تجعله يخصص مقدمات تاريخية طويلة يتتبع فيها بداية ظهور المشكلة موضوع البحث، والآراء المختلفة التى قيلت فيها من

المؤرخين وآباء الكنيسة والكتاب المسيحيين سواء فى الكنيسة الشرقية أو الدولة البيزنطية، أو أوروبا، بحثًا عن الأصول والكتابات الأولى التى تنوقلت وتواترت وأصبحت تكون نوعا من الرؤية الأسطورية فى فهم حقيقة الإسلام التاريخية[١٠١] .

٣ - أن هذه الأعمال تتسم بقدر كبير من التكامل. فهى لا تكتفى فقط ببيان آراء المستشرقين ضد الإسلام، رغم أن هذا هو ما يمثل الاتجاه السائد فى الكتابات التى يعرضها بدوى - وإنما نشير أيضًا كلما كان ذلك ممكنًا فى اطار القضايا المثارة - إلى كثير من المواقف الايجابية لبعض هؤلاء المستشرقين موضحًا أيضًا بموضوعية كاملة هذه المواقف، ودوافعها، وتوجهات أصحابها وفى هذا الإطار نفسه يمكن أن نجد بعض الإشارات وهى قليلة للغاية إلى آراء سلبية وإيجابية لبعض هؤلاء المستشرقين خاصة ماسينيون ونولدكه .

٤ - الاعتماد فى بعض الأحيان على المصادر الإسلامية وخاصة القرآن والاستشهاد بآياته وتحليل ألفاظه[١٠٢] وتقديم بيانات إحصائية بهذه الألفاظ ودلالتها بنفس طريقة العلماء فى البرهنة النقلية، والاستشهاد بالنصوص

---

(١٠١) يشير بدوى فى مقدمة " الدفاع عن حياة النبى محمد " إلى كتاب البطريق الإسكندر الأنكونى" أسطورة محمد فى الشرق " وتتبع فى نفس المقدمة المزاعم المختلفة التى تناقلها هؤلاء الكتاب ثم يخصص تمهيده الطويل لتناول " أسطورة محمد فى أوروبا، عشرة قرون من الكذب الباطل والافتراء" لدى المؤرخ البيزنطى ثيومان (٧٥١ - ٨١٨م) ومن تابعه أمثال قسطنطين بروفيروجيثينا (٩٠٥ - ٩٥٩م) وسدرنيو (ت١٠٥٧م) وزيوتارا (ت١١٣٠) ثم الراهب جيوبرت (١٠٥٢ - ١١٢٤م) وجاك دى فيترى (ت١٢٤٤م) ومارتين بولونكو وفانسان دى بوفيه (ت١٢٦٤م) وغليوم الطرابلسى وبيير باسكاسيو، ويعقوب الأكوينى (ت١٣٣٧) وغيرهم.

(١٠٢) يعتمد بدوى على بيان الآيات القرآنية واحصائها وتحليل دلالتها فى مواضع عديدة من كتابه " الدفاع عن القرآن ..." راجع مثلاً: الفقرة الأولى من الفصل الأول عن تحليل لفظ "أمى" الذى يذكر ورودها فى الأعراف ١٥٧، الجمعة ٢، آل عمران ١٩، ٧٥، والبقرة ٧٨ وكذلك فى حديثه عن الصائبة فى القرآن (الفصل السادس) ويفعل ذلك مع العهد القديم فى موضوع الرسل (الفصل السابع)، ويشير إلى ورود كلمة رسول ١٤٦ مرة مختصة بمحمد ورسوله ٨٤ مرة، ورسولنا ٤ مرات، وأيضًا فى تحليل لمعنى الفرقان (الفصل الثالث) .

وكذلك الاعتماد على كتب المفسرين والمحدثين والمؤرخين وعلماء اللغة العربية القدماء[١٠٣]. والحقيقة أن الهدف من ذلك ليس البرهنة على صدق دعواه بل هى أساس لبيان كافة الجوانب والآراء المثارة قديمًا وحديثًا حول كل قضية من هذه القضايا.

٥ - الملاحظة الخامسة وهى على جانب كبير من الأهمية - ويصح أن تكون الأولى تتعلق بحفر بدوى فى الأصول التاريخية لعلاقة الإسلام بأوروبا وموقف أوروبا منه. وعلاقة المسلمين بالطوائف الدينية المحاورة خاصة اليهودية وتاريخ التحالفات معهم، وهل هناك مصداقية لهذه التحالفات ونكثهم الدائم للعهود. وكذلك أيضًا - وهى مسألة فرعية لعلاقة الإسلام بأوروبا - مسألة حرية الرأى والتعبير والدفاع عن حقوق الإنسان التى يتشدق بها الأوربيون ويدعو إليها فلاسفتهم، أو ما يطلق عليه الليبرالية الأوربية، وحقيقتها كما تتضح فى بعض المواقف التاريخية المعاصرة [١٠٤]. وكذلك إشارته إلى الصلة بين الإسلام والمذاهب الغربية خاصة الاشتراكية، وحقيقة هذه الصلة، وهى قضايا لها أهمية كبرى فى عالم اليوم وتحتاج فى تحليلها إلى الاستعانة بإنجازات الثورة المعرفية المعاصرة فى العلوم الإنسانية وإن كان بدوى طرحها على طريقة الفيلسوف التقليدى، وأهمية هذا التناول أنه يتجاوز تناول اللاهوتى (العدائى) والسياسي (المنغلق) .

٦ - الملاحظة الأخيرة تتعلق باللغة العربية المستخدمة فى الكتابات، وهى اللغة الفرنسية الموجهة للأوربيين، والتى كتب بها بدوى عديد من دراساته السابقة،

---

(١٠٣) ويستشهد بالمصادر العربية فى تناوله لادعاء مرجليوث بأن الصلاة من طقوس الحرب (الفصل الرابع) والقبلة (نفس الفصل) والصائبة (السادس) والفصل العاشر عن محاولة العلماء المسلمين لتقديم تأريخ زمنى لآيات القرآن.

(١٠٤) يقارن بدوى فى الفصل الرابع من "الدفاع عن حياة محمد" بين سماحة سلوك النبى مع أعدائه بعد الفتح العظيم وسلوك الفاتحين الأوروبيين الذين تحدث عنهم المستشرقون فى كل تاريخ أوروبا. وأكتفى بالإشارة إلى ما تم فى قرننا هذا وما روى من انتصارات الحلفاء على الألمان فى الحرب العالمية الثانية وما حدث بعدها من محاكمات أعدمت الكثير من الرجال والقواد. ودلل على محاكمة نورمبرج المشينة التى وقعت ما بين يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ حتى يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٤٦ .

وقد استخدمها هنا لتوضيح حقيقة الآراء الاستشراقية المغرضة التى قدمت تصورًا تاريخيًا مخلوطًا وأسطوريًا للنبى محمد، وفهما معكوسًا لحقيقة القرآن، ولم يستخدم اللغة العربية فى الكتابة وهى لغة ليست دعائية ولا تبشيرية، ولا تهدف إلى جذب الأوربيين إلى الإسلام، لكن غرضها إبراز الحقيقة، وتوضيح المغالطات المتعصبة التى يقدمها المستشرقون. وأخيرًا هى لغة حادة وعنيفة فى الهجوم على تلك الآراء غير المنصفة بل الجامدة المغرضة المتعصبة. وإذا كانت تلك هى سمة بدوى فى التعامل مع أقرانه - كما اتضح فى كتاباته ضدهم - فهى هنا أحد واشد .

٧ - ويحدد لنا بدوى مهمته فى مقدمة كتابه "الدفاع عن محمد" بأنها كشف زيف كتابات المستشرقين التى لا تنفك تردد اتهامات قديمة للإسلام يقول موضحًا أن الإسلام أصبح مرة أخرى، القديم المستهدف للامبراطورية الرومانية وأوروبا وكيف قام هؤلاء بتوجيه هذه الدعاية السيئة ضد الإسلام .. لقد وضعت هذه الدعاية فى روايات كاذبة واجبة التصحيح، فأضافة إلى تلفيقها، فإنها تمتلئ بالجهل للحقائق التاريخية " وتتضح هذه الدعاية فى كتاب البطريق الإسكندر الأنكونى الذى ظهر بعنوان أسطورة محمد فى أوروبا، عشرة قرون من الكذب الباطل والافتراء ". يقول: "بالخوض فى تاريخ مفاهيم الأوروبيين عبر العصور حول نبى الإسلام محمد، ذهلت تمامًا لشدة جهلهم، وسوء طويتهم الواضح، وأوهامهم العتيقة، وعنادهم وتعصبهم المحموم، واصرارهم على الالتزام بالجهل التام فيما يخص أمور خصمهم ولا ينطبق هذا الأمر فقط على العاديين منهم من الناس والجهلة والسذج إنما ينطبق أيضًا على كبار علمائهم من فلاسفة ورجال دين ومؤرخين ". ويتتبع بدوى تفشى افكار كتاب أسطورة محمد بين كتاب أوروبا بداية من القرن التاسع الميلادى حتى القرن الرابع[١٠٥] .

كما يتتبع بدوى فى "الدفاع عن القرآن" تتبعًا تاريخيًا مختلف الانتقادات التى التى وجهت للقرآن منذ يوحنا الدمشقى (ح٦٥٠ - ٧٥٠)، وأول هجوم على القرآن جاء فى مقدمة كتاب نيكتياس البيزنطى" نقد الأكاذيب الواردة فى كتاب العرب المحمديين". ويشير بدوى للجدل العنيف حول الإسلام فى النصف الثانى للقرن

---

(١٠٥) راجع هامش رقم ١٠١.

التاسع الميلادى؛ والذى يظهر فى كتاب كانتا كوزين (ح ١٢٩١ - ١٣٨٠) موضحًا أنه بسقوط القسطنطية فى يد المسلمين ١٤٥٣ توقف كل الجدل البيزنطى حول الإسلام، ثم ظهر ذلك فى أوروبا المسيحية حيث كتب نيقولا الكوزى (١٤٠١ - ١٤٦٤) كتابه **Cribratia al chorani**. ويعدد بدوى كثير من الكتابات الأوربية فى القرن الخامس عشر التى وجهت ضد الإسلام عمومًا ويذكر أول دراسة موجهة ضد القرآن والتى ظهرت فى أواخر القرن السابع عشر، وهى دراسة لودفيكيو ماراشى **Marrcci** (١٦١٢ - ١٧٠٠) مشيرًا إلى أن عمل مارشى بداية الدراسة الجادة فى أوروبا عن القرآن، إلا أنه كما يصفه بدوى مملوء بالأخطاء الخطيرة والمجادلات الساذجة، وهو ما نجده فى كل الدراسات المتصلة بالقرآن خلال القرنين التاليين لظهور هذا العمل .

ويظهر فى مقدمة كتاب بدوى عن القرآن عدم ثقته فى أعمال هؤلاء المستشرقين لاصرارهم على تزييف المشاكل والتصورات والنتائج. ويقدم لنا بعض الأسباب لتفسير جهل المستشرقين بموضوع دراستهم حول القرآن مثل:

١ - أن معرفتهم باللغة العربية معرفة حرفية اكثر منها اصطلاحية لا تحقق كثيرًا مما يرغبون .

٢ - معلوماتهم عن المصادر العربية ناقصة وضحلة وغير كافية .

٣ - الحقد المتأجج الموروث ضد الإسلام عند كل من هـ. هرتشفيلد، وج. هورفيتيز.

٤ - تتمثل الأحكام حول القرآن (الاتهامات) لدى جولد تسيهر، ونولدكه، ومر جليوث .

٥ - مناقشتهم لرسالة محمد بوضعها فى إطار ضيق كما لدى وليام مير، وزويمر. ومقابل ذلك يحدد لنا بدوى الموضوعات التى سيناقشها فى كتابه والفترة الزمنية للكتابات التى سيتناولها، والمنهج الذى سيستخدمه، والذى يسميه المنهج الوثائقى والموضوعى مبينًا بوضوح هدفه، وهو كشف القناع عن هؤلاء العلماء الكاذبين .

والحقيقة أن أحكام بدوى تتفاوت ما بين حدة وإدانة لبعض هؤلاء المستشرقين الذين سبق له أن أشاد بهم، واعتدال وإشارة لمن تجاوزوا القصور

الذى أشار إليه وظهر لديهم معرفة صحيحة باللغة العربية، ودقة فى المعلومات وعرضوا أبحاثهم من خلال تفهم موضوعى وتسامح، وناقشوا أمور الدين الإسلامى والقرآن عبر إطار أعم بالإضافة إلى تناول لبعض هؤلاء المستشرقين قد يأتى عرضًا خلال تناول قضية معينة أو يخصص لهم فصول بأكملها لمناقشة آرائهم ومن هؤلاء: مرجليوث، وجولدتسيهر، وفنسنك، ونولدكه هذا بالإضافة إلى بعض المستشرقين الذين يناقش آراءهم فى كل قضية تعرضوا لها عبر فصول كتابيه وهم: سبرنجر، وهورفتيز، وفراتتز بهل، وجودفروادى موميين وكايتانى وغيرهم وسوف نتوقف أمام نقده وتحليله لأعمال هؤلاء ونبدأ باسبرنجر **A.spranger** .

وما قدمه من آراء فى كتابه "حياة وعقيدة محمد" الصادر فى برلين ١٨٦١، وأول قضية يناقشها بدوى هى التفسيرات التى أعطاها سبرنجر للفظ "أمى" فهو يميز أولاً بين أهل الكتاب، والذين لا كتاب لهم (الجزء الأول ص٣٠)، "وأمى" بمعنى وثنى (جـ ٢ ص٢٢٤ حاشية ١)، وهو صفة الشخص الذى لا يعرف القراءة تمامًا ولا الكتابة (جـ٢ ص ٤٠١ - ٤٠٢). ويرد بدوى موضحًا أن هذه إدعاءات لا تستند إلى أية مصادر، فنحن إذا عثرنا علي نص واحد يرجع إلى ما قبل الإسلام يشير إشارة واحدة إلى أهل الكتاب والأميين فسوف لا تكون هنا مشكلة على الإطلاق[١٠٦]. كما يشير فى حديثه عن "قبيلة" المسلمين إلى زعم سبرنجر متابعًا جولد تسيهر، متفقًا مع منسنك - بأن القبلة كانت قبل الهجرة تجاه بيت المقدس، وأن محمدًا اتخذها كذلك لارضاء اليهود، مع أنه - كما يؤكد بدوى - لم يكن وهو فى مكة بحاجة إلى رضا عليه، أما فى المدينة فقد كان الاحتكاك الفعلى معهم[١٠٧]. ويناقش بدوى آراء سبرنجر مرة ثالثة فى سياق حديثه عن الصائبة فى القرآن الذى قال أنهم الحنفيون، وهو رأى كاذب عند بدوى للأسباب التالية فالحنفيون على نقيض الصابئة وديانة كل منهم معارضة للأخرى. والأحناف هم اتباع ملة إبراهيم والصابئون هم عبدة النجوم. وهى عبادة حرمتها ملة إبراهيم "الصحف"، وأن فعل "صبأ" فى العربية معناه تحول عن دينه ليعتنق دينًا آخر .

ويتناول بدوى كذلك - فى الفصل الأول من كتابه الدفاع عن محمد ما توصل إليه سبرنجر فيما يتعلق بالحالة التى يكون عليها النبى وقت نزول الوحى.

---

(106) adawi : Défense du Coran , PP. 14 - 15 .

(107) Ibid. , PP. 85 - 86.

وتتلخص فى أن محمدًا كان يعانى من الهستيريا العقلية حين ينزل الوحى عليه وكان يأتى بحركات تشبه تلك التى تصاحب حركات المصاب بالصراع. ويردد بدوى بأن هذا الاتهام قمة السخف من قائليه، ذلك لأن محمدا قبل وبعد نزول الوحى لم يشهد إشارة واحدة أو عارضا واحدا لهسيتريا أو صراعا على الإطلاق بل على العكس من ذلك. فتماسك شخصية محمد وثباته فى سبيل نشر الدعوة كان صلبًا على الدوام. والمصابون بهذا المرض يحيون دوامًا فى الخيال والوهم عكس محمد، كان رجلاً عمليًا واقعيًا صادقًا أمينًا. ويشير بدوى أن العلوم الإنسانية اليوم تضع العباقرة العظام على ضوء الأبحاث النفسية فى مكان القوم غير العاديين .

ويرفض بدوى فى الفصل الثانى من كتابه ما أورده سبرنجر من قصة خيالية عن أسباب زواج الرسول من زوجته الثانية زينب بنت جحش موضحًا أن تعدد الزوجات غير المحدود كان شائعًا بين العرب قبل الإسلام. ولم يحدث أن استنكر أحد من العربْ هذا التعدد أو انتقد واحدا لمجرد أنه تزوج من نساء كثيرات، وإن الآية ٤٩ من سورة الأحزاب تحل للرسول الزواج عن اختيار، وتشرح فى هذا الخصوص زواجه من زينب بنت خزيمة (أم المساكين)، وعبارة "من دون المؤمنين" فى هذه الآية تعنى هذه المرأة بالذات التى وهبت نفسها للنبى ولا تعنى إطلاق العدد فى زواجه من النساء عمومًا. ويوضح بدوى أن رواية سبرنجر فيمًا يتعلق بزواج الرسول من زينب بنت جحش رواية واهية. ويذكر عدة حجج فى ذلك. كذلك يعرف بدوى فى الفصل الخامس من كتابه "الفرائض الإسلامية وأصولها التى أقرها النبى"، ويناقش رأى سبرنج بخصوص فرض صيام شهر رمضان على المسلمين حتى يخالف صوم اليهود ولا يتهم بإنه نقل عنهم هذه الفريضة ويبين فى الرد عليه اختلاف الصوم عند كل من المسلمين واليهود.

ويناقش فنسنك **A.J.Wensinck** بدوى كثيرًا فى كتابه "الدفاع عن القرآن" فى قضية لفظ "أمى" نجد أن فنسنك فى مقالته فى مجلة **Acta Orirntalia** يتابع رأى سبرنجر فى أن لفظة "أمى" تطلق على صاحبها من غير أهل الكتاب[١٠٨]. وكذلك فيما يتعلق بمسألة تحويل القبلة فى الفصل الخامس. فقد اختار أيضًا رأى سبرنجر .ويخصص الفصل السابع لنقد آراء فنسنك الهوائية بخصوص موضوع الرسل فى القرآن (ص١٠٤ - ١٠٩). فهو يرى أن فكرة ارسال الأنبياء كرسل

---

(108) Ibid , P. 18 .

ربما تكون قد وصلت إلى محمد عبر قناة مسيحية. ويوضح بدوى عدم معرفة محمد شيئًا عن الاثنى عشر رسولاً. كذلك يبين الفرق بين الرسول والنبى، وأن الرسول فى المسيحية بمعنى خوارى مرسل من قبل المسيح وليس له وحى أو كتاب منزل.

والمستشرق الثالث الذى نتناول موقف بدوى من آرائه هو هورفتيز J.Horovitz الذى يعرض موقفه فى مقدمه "الدفاع عن القرآن" ضمن كتاب المتعصبين ضد القرآن(١٠٩). وينتقد قوله بأن "أمى" تساوى وثنى بالنسبة للنبى متابعًا سبرنجر وفنسنك(١١٠). فهو عالم مغرض، ونواياه سيئة ضد الإسلام، ويدعى أن "أمى" تطلق على الوثنيين المعارضين لشعب بنى إسرائيل، ويرفض بدوى تفسيره للصابئة بأنهم مذهب أو مجموعة من المذاهب النصرانية(١١١) .

ويخصص بدوى الفصل الرابع من "الدفاع عن القرآن" لمناقشة مزاعم مرجليوت المفرطة Les extravagantes hypotheses (ص ٧٢ - ٨٠) بصدد التشابه المزعوم بين الإسلام واليهودية يذكر بدوى اسم مرجليوث (داود صموييل) ١٨٥٨ - ١٩٤٠، اسم ثلاثى يهودى صرف ينحدر من أسرة إسرائيلية، وأن أعتنق مثل والده المسيحية وصار قسيسًا ١٨٩٩ ولكنه ظل يهوديًا قلبًا وروحًا، وقد شغل بالدراسات اليهودية، وله عديد من المؤلفات فيها (١١٢). وقد جند داود صموييل مرجليوث نفسه طوال حياته عدواً عنيدًا ضد الإسلام، وأدى به تعصبه إلى إصدار المزاعم ضد النبى. ويعدد لنا بدوى هذه المزاعم، وهى:

---

(109) Ibid , P. 7

(110) Ibid. , P. 15

(111) Ibid. , P. 66

(١١٢) يذكر لنا بدوى من مؤلفات مرجليوث فى اليهودية الأعمال التالية :

* شرح كتاب دانيال ليافث بن على نشر وترجمة ١٨٩٩ .
* مكانة الأكليريكية فى الأدب السامى ١٨٩٠ .
* أصل " الأصل العبرى " للأكليروس ١٨٩٩ .
* العلاقات بين العرب والإسرائيليين قبل الإسلام ١٩٢٤ المرجع السابق ص(٧٢، ٧٣) .

١ - الأصل اللغوى لكلمة مسلم، التى أرجعها لعهد سابق على النبى حيث كانت تطلق علي مسيلمة الكاذب. ويشير بدوى إلى رد تشارلز ليل عليه فى ذلك بحيث لم يعد يكرر ذلك ثانية [١١٣] .

٢ - ارجاع كلمة فرقان إلى الكلمة العبرية بيركى أبوت Pirke Abbot التى تعنى مجمعًا للربانية اليهودية [١١٤] .

٣ - الزعم - فى مقاله عن محمد (دائرة معارف الدين والأخلاق جـ٢ طبعة ١٩١٥) أن من المحتمل أن اسم إبراهيم لم يعرف نهائيًا فى مكة قبل أن يعرف به محمد، وأن من المحتمل أن تكون ملة إبراهيم ظهرت فى حران على يد الصائبة، وأن المسيحيين أطلقوا على الحرانيين لقب الأحناف، وهما زعمان كاذبان تماماً كما يؤكد بدوى، وأن مرجليوث إفترض ذلك دون الاستناد على مصدر واحد [١١٥] .

٤ - الزعم بأن طقوس الإسلام ارتبطت بطقوس حربية، وهو زعم سخيف حيث لم تذكر كتب الحديث الصحاح ذلك [١١٦] .

٥ - الزعم بان محمدًا حرم على المسلمين من الطعام ما حرم على اليهود وغير ذلك من مزاعم لا دليل عليها.

ويخصص بدوى الفصل الخامس من كتابه للرد على جولد تسيهر وتشابهاته الخاطئة بين الإسلام واليهودية. فقد نشر هذا الأخير مقال فى دائرة المعارف اليهودية حول الإسلام بحث فيه عن أصل مختلف التشريعات الإسلامية فى اليهودية .

١ - أولاً تصور الاله، يفترض جولد تسيهر أن الفهم الوثنى لطبيعة الله، والذى عارضه محمد عند العرب عرب الجاهلية يتوافق مع صورة الاله الواردة فى العهد القديم، ويرد بدوى علي هذا الزعم الخاطئ بأن إله العهد القديم خصص

---

(113) Ibid., P. 73

(114) Ibid., P. 74

(115) Ibid., PP. 74 - 75

(116) Ibid., P. 76

على أنه إله بنى إسرائيل على النقيض من إله الإسلام وهو "رب العالمين"، وأن رب إسرائيل هو الأب بينما رب الإسلام لم يلد ولم يولد[١١٧] .

٢ - يرد بدوى على زعم جولد تسيهر بأن محمدًا أخذ الصوم عن اليهود ويصفه بهذا اليهودى دائم الانحياز لبنى جلدته الذى ظهر عدم صدقه حسين وضع كلمة عبرية بين قوسين بعد اللفظ العربى، فذكر أن الصيام هو (السيام) التى تعنى المنتسب للساميين [١١٨].

٣ - ويورد بدوى الملاحظات التالية حول ما يتعلق بادعاء جولد تسيهر أن محمدًا اتخذ قبلته أولاً نحو بيت المقدس لكسب ود اليهود، فلما لم يوافقوه على ذلك قام بتغير اتجاه القبلة إلى الكعبة فى مكة .

أ) لم يقل أحد بعلم مؤكد كيف كانت القبلة فى مكة قبل الهجرة .

ب) احترام الدين الجديد قبلة الأدباء - فى مكة - وحفظ لهم حرمتها ومكانتها وبالتالى حفظ التوجه نحوها .

جـ) لما كان الإسلام هو ملة إبراهيم الذى بنى الكعبة فكان من الطبيعى أن يتجه المسلمون فى صلاتهم نحوها .

٤ - وعلى العكس من ادعاء جولد تسيهر بتأثير التشريع اليهودى على التشريع الإسلامى وبالمقارنة بينهما يؤكد عدم وجود أى تطابق بينهما [١١٩] .

وينكر بدوى صحة افتراض نولدكه **Noldeke** أن البسملة فى فاتحة الكتاب ذات أصل مسيحى انجيلى الذى أورده فى **Geschichte des Oarans**.بعد أن أورد بدوى محاولات علماء المسلمين فى وضع تأريخ زمنى محدد لآيات القرآن يعرض لمحاولات المستشرقين، وفى مقدمتهم محاولة نولدكه ويناقشها صفحات (١٢٦ - ١٣٠) موضحًا أنهم لم يأتوا بجديد فى هذه المسألة، وأن الفصل التاسع من كتاب الزركشى كاف تمامًا بالنسبة لهذا الموضوع .

---

(117) Ibid ., PP. 28 - 83

(118) Ibid ., P. 84

(119) Ibid ., PP. 89 - 90

ويخطأ رأى نولدكه عن "هامان" الذى نشره فى دائرة المعارف البريطانية والذى زعم فيه أن هامان المذكور فى القرآن المذكور أيضًا فى الإنجيل على أنه الوزير المحبوب لاشوروس ملك الفرس(١٢٠). ومقابل ذلك يرى بدوى أن هامان المذكور فى القرآن ربما لا يكون اسمًا لشخص بل هو لقب عام يطلق على كبير كهنة فرعون، ويفترض أنه مطابق لاسم آمون، وأنه من السهل أن يطلق أمان، وهى وظيفة رئيس الكهنة الذى تعرف بالقول الدارج على أنه وزير فرعون .

ويناقش بدوى آراء فرانتزبهل **Frantz Buhl** فى كتابيه ويعرض لقوله أن لفظة "أُمى" مأخوذة من أمة، حيث يرى بهل أن محمدًا كان يعرف القراءة والكتابة حين اشتغل بالتجارة، إلا أن كتب اليهود والنصارى لم تكن مفهومة له. ويرفض بدوى هذا الرأى الذى يصفه بالسخف(١٢١). ويعرض فى كتابه "الدفاع عن حياة محمد" موقفه هو وتور اندريه ضد رأى سبرنجر فيما يتعلق بحالة محمد عند نزول جبريل عليه بالوحى، فقد اكدا فى كتابيهما أن محمدًا كان صادقًا فيما كان عليه الوحى، وأنه كان يذعن الصوت عال من السماء كان يسرد عليه القرآن .

ويرد بدوى – فى الفقرة الثانية من كتابه المشار إليه سابقًا – على افتراءت بهل فيما يزعمه بشهوانية محمد، ويورد كلامه بنصه مبينًا أنه وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه سبرنجر حيث يؤكد بهل بمنتهى الصلافة والحقد تعصبه ضد محمد والإسلام. ويرى أن كتابه أكثر الكتب المرذولة التى وضعت فى سيرة نبى الإسلام. ويعجب بدوى فى الفصل الرابع من كتابه من موقف بهل الذى فسر رحمة الرسول بالمشركين فى صلح الحديبية بكونه أراد ادخالهم إلى ملته دون إقتناع منهم بذلك، وتعجبه (بهل) من قبول الرسول لأولئك المشركين الذين دخلوا الإسلام مواطنين فى دولته. ويرد على ادعاءاته القائلة بأن الفرائض الإسلامية مأخوذة عن المسيحية واليهودية، وأن المسلمين لم يلتزموا فى نهاية حياة الرسول بفريضة الصلاة زاعمًا أنه استقى ذلك من عدد من المصادر الإسلامية لم يشر إلى أسمائها. وهو زعم خاطئ تمامًا كما يؤكد بدوى، ويندد به لطعنه فى صحة رسائل النبى، وحقيقة وجود هذه الرسائل، وعدم وجود أصول لها، وأن خطابه إلى المقوقس حاكم الإسكندرية ليس كتابًا مزيفًا فحسب ولكنه كتاب لا أصل له على الإطلاق. ويرفض ما زعمه

---

(120) Ibid ., P. 220

(121) Ibid ., P. 18

من كون محمدًا لم يضع فى ذهنه أن تكون ديانته للعالم أجمع، مع أن الرسول منذ بداية دعوته أعلن أنه أرسل للناس كافة وعامة .

وفى إطار هذه المزاعم يعرض بدوى لما أورده جودفروا دى موميين بصدد زواج النبى من زينب بنت جحش، وبعد أن يعرض لروايته يرفض الأخذ بها معددًا أسباب ذلك. كما يناقشه فى أخذ الفرائض الإسلامية عن المسيحية واليهودية فى الفصل الخامس من "الدفاع عن محمد" وكذلك فى تشكيله فى رسالة النبى إلى المقوقس .

ويرد على تباكى امثال كاتيانى وجابربيلى عن موقف محمد من يهود بن قريظة بأن الحكم الذى صدر على اليهود هو حكم سعد بن معاذ حليف اليهود الذى ارتضوه حاكمًا بينهم وبين المسلمين ولم يكن حكم محمد وأنهم (اليهود) تآمروا على الرسول وخانوه فى الحرب وهى تهمة تجابه بالقتل فى كل مكان وعلى مر التاريخ، وقد اعترف كاتيا فى نفسه بخطورة ما قام به بنوقريظة ضد المسلمين وقت الحرب. وقد دلل بدوى فى الفصل الخامس من كتابه على عدم صحة مزاعم كايتانى بأن الصوم الإسلامى تقليد للصوم المعروف عند اليهود .

ويناقش آراء مونتجمرى وات **W.M. Watt** عن سياسة محمد تجاه خصومه. فرأيه عن حكم سعد بن معاذ على اليهود مهتراً بما فيه الكفاية. ويرد على افتراضه الساذج المضلل بصدد امكانية تعاون محمد مع اليهود وكأن بدوى يحذرنا من التعامل مع هؤلاء الذين يؤكد التاريخ دائمًا غدرهم فى كل تحالفاتهم ويرد بدوى بعنف على هذا الرأى .

١ – بصدد القول عن "الفوائد الجمة" التى يتحدث عنها الكاتب (وات)، فإنها إذا كانت قد حدثت فسوف لا تكون أكثر من منحهم الإسلام مقابل دفع الجزية على أنهم أهل ذمة .. وبذلك لن يتغير وضع اليهود طوال التاريخ الإسلامى وبالتالى لن يتغير وجه العالم .

٢ – قول وات أن الإسلام سيصبح مذهبًا يهوديًا هو السخيف حقًا. إن الإسلام لا يمكن أن يكون مذهبًا يهوديًا، إن لم يكن ذلك قد حدث ولو أنه من المستحيل حدوثه فإن معناه أن محمدًا قد اعتنق اليهودية ! وليس هنالك عاقل واحد يستطيع أن يقول مثل هذا الهراء، أو يفترض هذا الافتراض الأبله. ولماذا يقدم

محمد على ذلك .. لو كان الأمر كذلك إذن فقد كان من الأحسن لمحمد ألف مرة من ذلك لو اتبع ملة آبائه وملة قومه وملة غالبية شبه الجزيرة العربية.

٣ – إذا كانت هنالك (فرصة طيبة ضائعة) كما يقول وات، فإنها طيبة ضائعة على يهود المدنية ويهود خيبر لأنهم هو الذين أضاعوها، ولو كانوا قد أرادوا حقيقة أن يغتنموها بالقطع لوقفوا مع محمد على الحياد .

لما ينكر بدوى دوزى **R. Dozy** فى الاسرائيليات فى مكة وكذلك هوتسما **The Houtsma** فى ردهما الحج الإسلامى إلى الحج اليهودى ويعارض هذا الموقف برأى سوك هرفرونيه الذى يرفض ادعائهما فى مقالة "اعياد مكة" .

وما نريد أن نشير إليه تعقيبًا على موقف بدوى الحالى، الذى نطلق عليه "المقابلة" هو أن الفكر العربى الإسلامى لا يهدف إلى الهجوم على آراء هؤلاء المستشرقين جملة – بل إنه فى ثنايا عرضه للقضايا المختلفة التى يناقشها فى كتابيه الأخيرين: " الدفاع عن محمد " و " الدفاع عن القرآن " يعرض بموضوعية لآراء كل من ناقش هذه القضايا ويشيد بموضوعية عديد من المستشرقين ذوى المنهجية العلمية غير المتحيزة. فهو يذكر الدقة والموضوعية التى ظهرت بها والدراسات حول الإسلام بعد ظهور كتاب ج. هـ هوتينجر **Hothinger .H .J** تاريخ الشرق **Historia Orientalis** فى منتصف القرن السادس عشر حيث تدخل أبحاث المستشرقين مرحلة جديدة يظهر فيها رجوع أصحابها إلى المصادر الإسلامية بصدد هذا الموضوع. ومن خلال هذه المصادر قام هوتينجر لأول مرة فى أوروبا بدراسة تاريخ محمد بروح جديدة يظهر من خلالها الآتى:

١ – خفت " أسطورة محمد " التى كانت شائعة فى أوروبا خلال القرون السابقة بشكل ملحوظ تاركة المجال لتصور تاريخى معقول ومقبول .

٢ – استبعاد العلاقة بين بحيرى الراهب ومحمد؛ تلك العلاقة المزعومة التى نسج حولها المؤرخون الأوربيون السابقون ديانة محمد وتأثرها بالمسيحية .

٣ – عالج المعجزات التى وقعت لمحمد، وانتهى إلى أن معجزة محمد الوحيدة والكبرى هى القرآن .

ويختتم بدوى تمهيد كتاب عن محمد بالاشارة لأول كاتب أوربى رد بعدالة عن محمد والإسلام وهو أدريان ريلاند **Adrien Reland** صاحب كتاب "ديانة

محمد"[١٢٢]. وكان أمل ريلاند باخراج هذا الكتاب أن يواجه المعارك الموجهة فى أوروبا ضد الإسلام، وأن يدحض الأساطير الموضوعه على يد الكتاب الأوربيين والمسيحيين هذه لتشويه صورة محمد والافتراء عليه وعلى ديانته. ولقد ساهم الكتاب كثيرًا فى إنارة الطريق للأوربيين فيما يتعلق بالإسلام .

ويبدأ بدوى الفصل الثانى عشر من كتابه "الدفاع عن القرآن" بابراز دفاع ريلان عن الإسلام، الذى سبق وأشار إليه بدوى فى دراسته الدين عند كانط، الجزء الرابع عن منهجه، فيما يتصل بدراسة المصادر التى استقى منها كانط ما يتصل بالإسلام[١٢٣] .

وبدوى فى هذه الدراسة يشيد بفضائل أدريان ريلان يقول "الدفاع عن القرآن" لقد أثر فى كثيرًا هذا الكتاب بسبب أنصافه وفراسة كاتبه وموقفه الشديد الموضوعية تجاه الإسلام ونبى الإسلام محمد "[١٢٤]. فهو يبحث على دراسة العقيدة الإسلامية من خلال المصادر العربية مما يسمح برؤية الإسلام من واجهة مخالفة تمامًا لتلك التى كانت معتادة فى الغرب .

كذلك ناقش بدوى ما فى كتاب ريلاند من دراسة للعقيدة الإسلامية مع إيراد ترجمة لاتينية تقابلها وحواش تفسيرية وناقش بدوى رأى ريلان فى عبارة ﴿يا أخت هارون﴾ الواردة فى القرآن بصدد السيدة مريم العذراء ويلخص ما أوردوه فى هذا الفصل بخصوص هذا الموضوع [١٢٥] .

ويشير بدوى بموقف تور اندريه **Tor Andrea** ويستشهد به فى رده على سبرنجر بخصوص الصراع المرضى والهيستريا التى يدعى الاخير أنها تنتاب محمدًا أثناء نزول الوحى عليه، ويورد بدوى نصوص عديدة من كتاب توراندرديه "محمد، حياته وعقيدته" بخصوص ما زعم البعض حول شهوانية محمد حيث يقدم لنا اندريه بعض الاعتبارات التى يجب أن نحتكم إليها فى تحليلنا لهذا الموضوع منها المعايير الأخلاقية فى المجتمع الذى نشأ فيه ومدى تأثره بها، وحالة الأخلاق

---

(122) Ibid ., P. 62

(١٢٣) د. بدوى عبد الرحمن: الدين عند كانط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، القسم الرابع.

(124) adawi , Ibid ., p. 27.

(125) Ibid ., P. 28

والعادات فى الجزيرة العربية قبل الإسلام .. ليصل بذلك إلى أن محمد تمسك بحزم بالحدود التى وضعها فى التشريع لكبح جماح التسيب فى موضوع العلاقة الجنسية، وحاول وضع تشريعات عدة لتقويم فهم اخلاقى عال للغاية للزواج ولوضع المرأة فى المجتمع .

ويعلق بدوى على اقوال أندريه بأنه قد فهم فهمًا صادقًا عادلاً سلوك محمد بصدد الزواج والمرأة للاعتبارات التالية :

أ – وضع أندريه فى اعتباره ما كان شائعًا فى أمر تعدد الزوجات فى الجزيرة العربية قبل الإسلام .

ب – أشار أن محمد رفع من قدر المرأة بإعطائها الحق فى الميراث لأول مرة فى تاريخها .

جـ – أنكر أوهام الباحثين بصدد موضوع النزوات، وأكد على أن حياة محمد لا يليق بمن يتعرض لها أن يعيب سلوكه فى هذا الخصوص .

د – صحح أفكار من سبقه بصدد تفسير الآية ٥٢ من سورة الأحزاب وأورد التفسير الصحيح لها، وهو أنه لم يعد مسموحًا للنبى بعد اكتمال عدد زوجاته أن يتبدل غيرهن أو يزيد عليهن .

هـ – كان أندريه محقًا فى إشارته إلى أن أخلاق المسيحيين الموروثة فى العصور الوسطى عن الوثنية قد بالغت فى أمر تحريم الميل الجنسى وأن ترك المتعة الجنسية ليس فضيلة (١٢٦) .

ونجد نفس الإشارة بعدد من المستشرقين منهم فلهوزن الذى سبق أن ترجم له بدوى كتاب "الشيعة والخوارج" فهو من أصحاب الكتابات المعتدلة وهو يستند إلى أحكام فلهوزن حول اتفاق الصحيفة بين محمد وخصومه (١٢٧) .

---

(١٢٦) راجع الفقرات الأولى والثالثة من الفصل الثانى من "الدفاع عن حياة محمد الخاص بـ"شهوانية محمد المزعومة" حيث يعرض بدوى لرأى اندريه تور فى كتابه **Das leben und lehre des Mohammad** وكذلك كتاب حياة محمد وعقيدته .

(١٢٧) نقل بدوى للعربية كتاب فلهوزن: الخوارج والشيعة، دراسة وترجمة القاهرة ١٩٥٩.

يتناول بدوى اذن بأمانة آراء هؤلاء، ويشيد بها فى تلك المواضع التى تتفق مع الحقيقة التاريخية كما يراها، ويناقش آراءهم ويرفض بعضها حين تتجاوز حدود التحليل العلمى إلى الطعن فى العقيدة مثلما فعل مع "فرانتز بهل" وكذلك مع ماكسيم رودنسون الذى يرفض زعمه القائل بأن عفو محمد عن أبى سفيان وزوجته هند كان بهدف استمالتهم وكسبهم إلى صفه، والتلميح بانه استفاد من هنا العفو ليقترض الأموال من القريشيين الأغنياء. ومع هذا فإن بدوى يرى أن تقويم رودنسون بصدد الحكم الذى صدر ضد بنى قريظة معقولاً ومقبولاً على العكس من رأى مونتجمر وات .

إلا أن بعض أحكام بدوى تحتاج إلى نقاش سواء فيما يتعلق بمن أشاد بهم أو ندد بمزاعمهم خاصة موقفه من رينان. فمواقف رينان غير علمية فى كثير من الأحيان وقد ناقشها كثير من الباحثين العرب [١٢٨]. ومع هذا يطلق عليه بدوى الكاتب المنصف، وإن كان هذا صحيحًا فى السياق الذى أورد فيه بدوى رأى رينان الخاص بموقف الأوربيين وما كتبوه عن محمد والذى يقول فيه رينان "أنه لتاريخ يمتلئ بالغموض والكراهية والحقد عليه" [١٢٩]. وعلى هذا فإن بدوى فى اتجاهه الأخير يقدم لنا صورة يحاول أن يصحح فيه أحكام بعض المستشرقين الخاطئة حول الإسلام والقرآن والنبى محمد بعيدًا عن تلك الكتابات الكثيرة المتسرعة المنتشرة هذه الأيام ضد الاستشراق بعامة بهو يحلل ويناقش ويرفض وفى نفس الوقت يذكر أصحاب الاتجاهات التى تتفق مع الحقيقة التاريخية لدى بعض المستشرقين الذين يعتمدون على المصادر الأساسية والمناهج العلمية والتحليل الدقيق .

وهذا الموقف الأخير من الدكتور بدوى يختلف كلية عن موقفه المبكر المتابع تمامًا لجهود المستشرقين، ومن أجل هذا كتبنا هذه الدراسة الثانية "المقابلة والمماثلة فى موقف بدوى من المستشرقين " لتعطى صورة كاملة عن جهود الرجل وتكمل بعض الجوانب فى دراستنا السابقة عنه.

---

(١٢٨) قارن تحليل د. سالم حميش لأعمال رنيان " كحالة عداء معلن" فى كتابه الاستشراق فى أفق انسداده، منشورات المجلس القومى للثقافة العربية، الرباط ١٩٩١ ص(٣٩) وما بعدها.

(١٢٩) بدوى: الدفاع عن حياة النبى محمد .... التصدير.